

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الاسم الموصول ودلالاته البلاغية في سورة البقرة

إعداد

أحمد عبد الحميد علي خزنة

إشراف

د. عودة عبد الله

أ. د. يحيى جبر

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية

الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2013

الاسم الموصول ودلالته البلاغية في سورة البقرة

إعداد

أحمد عبد الحميد علي خزنة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 4 / 9 / 2013م، وأجيزت.

التوقيع

.....

.....

.....

.....

أعضاء لجنة المناقشة

-الدكتور عودة عبد الله / مشرفاً ورئيساً

- الأستاذ الدكتور يحيى جبر / مشرفاً ثانياً

-الدكتور حاتم جلال / ممتحناً خارجياً

- الأستاذ الدكتور محمد شريدة / ممتحناً داخلياً

الإهداء

- إلى الذي بعثه الحق سبحانه رحمة للعالمين.. المعلم الأول.. سيد الخلق.. سيدي.. محمد ابن عبد الله ﷺ ..
- إلى الذي اخشوشنت يده.. وأنهكت قواه.. وما ادّخر جهداً إلا بذله وأداه.. والذي العزيز _رحمه الله _
- إلى التي ضحّت بسنيّ عمرها.. وأفنت زهرة شبابها.. حتى أعيش عزيزاً بديني.. أمي الحنون..
- إلى التي كانت حافزاً لإنجاز هذا العمل.. وأزهرت بها الحياة.. زوجتي العزيزة..
- إلى اللذين أدخلوا السرور إلى قلبي.. ولداي: حارث ومصعب..
- إلى الذين ترعرعت معهم في منزل الفضل والإيمان.. أشقائي..
- إلى كل باحث إسلامي.. سعى إلى إحقاق الحق.. وإبطال الباطل.. ونادى بتطبيق الشرع الإسلامي الحنيف.. وأنكر قول من قال: ما ترك الأول للآخر شيئاً.. فبحث وسأل وأصل..

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث.

الشكر والتقدير

- أقدم شكري لله رب العالمين.. الذي امتن عليَّ بإتمام هذا العمل.
- وأشكر فضيلتي الدكتور عودة عبد الله، والأستاذ الدكتور يحيى جبر.. اللذين أسديا لي النصيح.. ووجهاني.. حتى خرج هذا العمل...
- إلى لجنة المناقشة الكريمة.. التي ما بخلت عليَّ بنصائحها وتوجيهاتها..
- إلى كل من قدم نصحه لي لأنجز هذا البحث بأتم وجه..

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الاسم الموصول ودلالته البلاغية في سورة البقرة

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثة أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	ب
الشكر والتقدير	ت
الإقرار	ث
الفهرس	ج
الملخص	ر
مقدمة	1
الفصل الأول: الاسم الموصول بين المفهوم اللغوي والدلالة البلاغية	5
تمهيد	6
المبحث الأول: معنى الاسم الموصو	7
المبحث الثاني: معاني الأسماء الموصولة في سورة البقرة	10
أولاً: الذي	10
ثانياً: الذين	10
ثالثاً: التي	11
رابعاً: مَنْ	11
خامساً: ما	12
سادساً: ذا	13
سابعاً: (ال) التعريف	13
المبحث الثالث: الفوائد البلاغية للأسماء الموصولة	14
أولاً: التعليل	14
ثانياً: الثناء	16
ثالثاً: الذم	16
رابعاً: التعظيم	17
خامساً: التهديد	18
سادساً: انتفاء الخصوصية	19
سابعاً: الإيجاز	19
المبحث الرابع: الدلالة البلاغية للاسم الموصول في سياق العقيدة والأحكام	20

	الشرعية
20	المطلب الأول: الدلالة البلاغية للتعبير بالاسم الموصول في سياق العقيدة
22	المطلب الثاني: الدلالة البلاغية للتعبير بالاسم الموصول في سياق العبادات
23	المطلب الثالث: الدلالة البلاغية للتعبير بالاسم الموصول في سياق الأحوال الشخصية
25	الفصل الثاني: دلالة الاسم الموصول في السياق القرآني / دراسة تطبيقية على سورة البقرة
26	تمهيد
27	المبحث الأول: الاسم الموصول في سياق التعليل
27	أولاً: مدح مؤمني أهل الكتاب لإيمانهم بما نزل على محمد ﷺ
28	ثانياً: بشارة المؤمنين لالتزامهم بالأعمال الصالحة
29	ثالثاً: ذم الكفار لإنكارهم الحق
30	رابعاً: ذم الكفار لتكذيبهم بآيات الله تعالى
30	خامساً: أمر لبني إسرائيل بذكر النعمة
32	سادساً: عدم التفرقة بين الكتب المنزلة من عند الله تعالى
33	سابعاً: ذم أهل الكتاب لتبديل أمر الله تعالى
35	ثامناً: ذم أهل الكتاب لاعتدائهم في السبت
36	تاسعاً: ذم أهل الكتاب لتكذيبهم وقتلهم الرسل عليهم السلام
36	عاشراً: ذم أهل الكتاب لكفرهم بالقرآن الكريم والرسول ﷺ
38	أحد عشر: قول أهل الكتاب إن الدار الآخرة خالصة لهم وعدم تمنيعهم الموت
39	ثاني عشر: ذم أهل الكتاب لقولهم البهتان
39	ثالث عشر: مدح مؤمني أهل الكتاب الذين تلوا كتبهم حق التلاوة
41	رابع عشر: القبلة نحو الكعبة فرضت من عند الله تعالى
42	خامس عشر: ذم الذين أوتوا الكتاب لكتمانهم الحق
43	سادس عشر: نقل حديث الوصية دون تبديل
44	سابع عشر: ذم الكفار لسخريتهم من المؤمنين
44	ثامن عشر: تضحية المؤمنين وهجرتهم وجهادهم رجاء رحمة الله تعالى
45	تاسع عشر: تضحية المؤمنين وعملهم الصالحات وإقامتهم الصلاة وإيتائهم الزكاة
47	المبحث الثاني: الاسم الموصول في سياق المدح

47	المطلب الأول: الاسم الموصول في سياق مدح المؤمنين
47	أولاً: مدح المؤمنين لإيمانهم بالغيب وتطبيقهم لشرع الله تعالى
50	ثانياً: مدح المؤمنين ليقينهم بلقاء الحق سبحانه ورجوعهم إليه
50	ثالثاً: مدح المؤمنين لإيمانهم بالله واليوم الآخر
51	رابعاً: مدح المؤمنين لبيع أنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى
52	خامساً: مدح المؤمنين لثباتهم على دين الله تعالى
53	سادساً: مدح المؤمنين لاتعاضهم بحكم الله تعالى
53	سابعاً: مدح المؤمنين لإنفاقهم أموالهم في سبيل الله تعالى
54	ثامناً: تشجيع المؤمنين الذين أنفقوا أموالهم ابتغاء مرضاة الله تعالى
54	تاسعاً: مدح المؤمنين لنيلهم الحكمة من الله تعالى
55	المطلب الثاني: الاسم الموصول في سياق مدح مؤمني أهل الكتاب
57	أولاً: مدح مؤمني أهل الكتاب لإيمانهم بالله واليوم الآخر وعملهم الصالحات
57	ثانياً: مدح مؤمني أهل الكتاب لإيمانهم بالكتب السماوية
58	ثالثاً: مدح مؤمني أهل الكتاب العارفين بمحمد ﷺ
60	المبحث الثالث: الاسم الموصول في سياق الذم
60	المطلب الأول: الاسم الموصول في سياق ذم الكفار
60	أولاً: ذم الكفار لقولهم الباطل بغير علم
61	ثانياً: ذم الكفار لاتخاذهم أنداداً مع الله تعالى
61	المطلب الثاني: الاسم الموصول في سياق ذم أهل الكتاب
62	الفرع الأول: ذم أهل الكتاب لتحريف الكتب والأحكام الشرعية
62	أولاً: ذم أهل الكتاب لريبهم في أمر البقرة
63	ثانياً: ذم أهل الكتاب لقولهم إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة
63	ثالثاً: ذم أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعضه
64	رابعاً: ذم أهل الكتاب لودّهم زوال الخير عن المسلمين
65	خامساً: ذم أهل الكتاب لزعمهم أن لله ولداً
65	سادساً: ذم أهل الكتاب لقولهم إن أبا الأنبياء وذريته كانوا هوداً أو نصارى
66	الفرع الثاني: ذم أهل الكتاب لكفرهم بالرسول عليهم السلام
66	أولاً: ذم أهل الكتاب لنفاقهم أمام المسلمين
69	ثانياً: ذم أهل الكتاب لعدم اتباعهم القبلة

70	المبحث الرابع: الاسم الموصول في سياق التعظيم
70	المطلب الأول: الاسم الموصول في سياق تعظيم الله تعالى
70	أولاً: أدب الملائكة مع رب العالمين بنفي العلم عنهم إلا ما علمهم إياه
71	ثانياً: تعظيم الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته
71	ثالثاً: تفرّد الله تعالى بالقدرّة المطلقة
72	المطلب الثاني: الاسم الموصول في سياق تعظيم المخلوقات
72	أولاً: تعظيم الجنة التي سكنها آدم عليه السلام
73	ثانياً: تعظيم مكانة الشهداء
73	ثالثاً: تعظيم درجة المتقين
74	رابعاً: تعظيم منزلة الرسل عليهم السلام
76	خامساً: تعظيم سيد الخلق محمد ﷺ والمؤمنين
77	المبحث الخامس: الاسم الموصول في سياق التهديد
77	أولاً: تهديد المانعين والمخربين للمساجد أن يُذكر فيها اسم الله تعالى
78	ثانياً: تهديد الذين أوتوا الكتاب بالكف عن إخفاء الحق وكتمانهم
79	الخاتمة
80	جدول الفهارس
81	فهرس الآيات
88	فهرس الأحاديث
89	فهرس الأعلام
90	قائمة المصادر والمراجع
b	الملخص بالانجليزي

الاسم الموصول ودلالته البلاغية في سورة البقرة

إعداد

أحمد عبد الحميد علي خزنة

إشراف

د. عودة عبد الله

أ. د. يحيى جبر

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الاسم الموصول ودلالته البلاغية في سورة البقرة، وهو موضوع تفسيري بلاغي، تقدم به الطالب استكمالاً لنيل درجة الماجستير في أصول الدين من كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، بإشراف الدكتور عودة عبد الله والأستاذ الدكتور يحيى جبر، درس الطالب فيه أقوال علماء الشريعة الإسلامية الغراء، وعلماء اللغة العربية.

عالج الطالب في هذه الدراسة بعض التساؤلات التي تتعلق بالاسم الموصول ودلالته البلاغية في السياق القرآني، في نطاق سورة البقرة، للتوصل إلى علاقة الاسم الموصول بالسياق القرآني ومدى بلاغته، وانتهج المنهج التحليلي الوصفي دون إطالة، حيث تتبع الأسماء الموصولة المذكورة في كتب التفسير واللغة وتتبع أقوالهم، محلاً ذلك كله للوصول إلى بلاغة الاسم الموصول ومدى علاقته بآيات سورة البقرة، هذا وتوجد بعض الدراسات التي تناولت الاسم الموصول وأثره في التفسير، لكن لا توجد دراسات تناولت موضوع الاسم الموصول ودلالته البلاغية في سورة البقرة بشكل منفرد ومتخصص وشامل، وهو ما تتميز به الدراسة.

وقد جعل الباحث الدراسة في تمهيد وفصلين رئيسيين، حيث خصص التمهيد للحديث عن علاقة الاسم الموصول لغوياً وبلاغياً وارتباطهما معاً، ومدى ارتباط الاسم الموصول بالعقيدة والأحكام الشرعية.

وفي الفصل الأول تناول الطالب الاسم الموصول بين المفهوم اللغوي والدلالة البلاغية، وجعله في أربعة مباحث، تناول فيها معنى الاسم الموصول، ومعاني الأسماء الموصولة في سورة البقرة، والفوائد البلاغية للأسماء الموصولة، والدلالة البلاغية للاسم الموصول في سياق العقيدة والأحكام الشرعية.

أما الفصل الثاني فقد تناول الطالب فيه دلالة الاسم الموصول في السياق القرآني/ دراسة تطبيقية على سورة البقرة، وجعله في ستة مباحث، تناول فيها الاسم الموصول في سياق المدح، والذم، والتشجيع والحث على العمل الصالح، والتعظيم، والتهديد، والتعليل.

وخلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها: الاسم الموصول له أثر في العقيدة والأحكام الشرعية، وأن الاسم الموصول لا يسد مسده كلمة أخرى، فله أهمية كبيرة في السياق القرآني، وبلاغة الاسم الموصول ومدى علاقته بالسياق القرآني.

ويوصي صاحب الدراسة بضرورة استمرار البحث التفسيري والبلاغي في موضوع الاسم الموصول ودلالاته البلاغية في القرآن الكريم.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي وفقنا لخير نبي بُعث رحمة للعالمين، فجعلنا من أتباعه، فصلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل كتابه ليتحدى به البشر ببلاغته وقوة بيانه¹، فانكفأت القلوب وعجزت الأقلام عن الإتيان بمثله، فهذا الكتاب المبارك يحمل بين دفتيه وجوهاً بلاغية بديعة وفائقة، فعمد الباحث إلى وجه من هذه الوجوه البلاغية، ألا وهو: الدلالة البلاغية للاسم الموصول، فالاسم الموصول يؤدي دوراً مهماً وعظيماً في السياق القرآني، فله أثر في المعنى الذي يرمي إليه هذا السياق، فحرص الباحث على إظهار هذه الأغراض البلاغية ليتبين أن لهذا الاسم أهمية كبيرة، فقد يكون من أجل المدح، أو الذم، أو التعليل، أو التعظيم أو غيرها من الأغراض البلاغية، كل اسم حسب موقعه من السياق في الآيات القرآنية².

إن هذه الأغراض البلاغية تعكس صورة من صور الإعجاز القرآني في قوة بيانه، فتاب الاسم الموصول عن التصريح بغيره ليدل على بلاغة النص القرآني وإظهار عظمة إعجازه، فلو بدّل أو غير لذهب ماء حلاوة بلاغته السامية.

وقد سمى الباحث هذا البحث " الاسم الموصول ودلالاته البلاغية في سورة البقرة ".

وقد اعتمد في هذه الدراسة على القرآن الكريم وكتب التفسير واللغة.

¹ انظر: الهاشمي، السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع. تحقيق د. يوسف الصميلي. ط(1). بيروت:

المكتبة العصرية. (1999م). ص(7).

² انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. لا يوجد معلومات نشر. ص(337)

أهمية الموضوع

لم يُذكر الاسم الموصول بدل غيره في القرآن الكريم إلا لأغراض بلاغية عالية، فمن خلال الدراسة والنظر في كتب التفسير والبلاغة تظهر مدى بلاغة الاسم الموصول، حيث لا تسد مكانه كلمة أخرى، فكل كلمة لها موقعها وبلاغتها في القرآن الكريم، وكذلك الاسم الموصول، فلو بدل الناس كلمة مكان كلمة لتغير النظم القرآني ولقلت مرتبته السامية.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها جاءت للكشف عن الدلالة البلاغية للاسم الموصول بحسب السياق الذي ورد فيه من خلال سورة البقرة.

سبب اختياري للموضوع

وقع اختياري على هذا الموضوع لأمر عدة، أهمها:

1. عدم وجود دراسات كافية متخصصة في هذا المجال.
2. الوقوف على بلاغة الاسم الموصول في سورة البقرة.

إشكالية الدراسة

جاءت هذه الدراسة في محاولة للإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما تعريف الاسم الموصول
2. ما الفوائد البلاغية للاسم الموصول؟
3. ما الدلالة البلاغية للاسم الموصول في سياق العقيدة والأحكام الشرعية؟
4. هل التعبير بالاسم الموصول يعطي دلالة على اختزال المعنى وإظهاره بصورة أقوى من التعبير بغيره
5. ما الدلالات البلاغية للاسم الموصول في سياق آيات سورة البقرة؟

هذه الأمور حاول الباحث جاهداً بيانها والإجابة عنها، سائلاً المولى عز وجل أن يتقبل منه ويرفع مقامه ويجعله نوراً له في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

منهج الدراسة

منهج الباحث في الدراسة جاء على النحو الآتي:

1. المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء الآيات القرآنية في سورة البقرة التي ورد فيها الاسم الموصول، لكن لعدم الحصول على مادة بلاغية تتعلق ببعض الآيات؛ لم يتم ذكرها في البحث.

2. منهج تحليل المضمون، وهي أحد أشكال المنهج الوصفي، بحيث أقوم بتحليل الآية من كتب التفسير بشكل غير مُطوّل.

3. وضع اختصارات في الهوامش، مثل: (د. ط) بدل: لا يوجد رقم طبعة، (د. ت) بدل: لا يوجد سنة نشر، (د. م) بدل: لا يوجد مكان نشر.

الدراسات السابقة

لم أجد بعد البحث والاطلاع على الدراسات السابقة من كتب أو بحث في هذا الموضوع، ولكنني وجدت بعض الدراسات التي يوجد بينها وبين هذه الدراسة بعض جوانب الشبه، وهي:

- أثر الاسم الموصول في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية، رسالة دكتوراه للطالب رياض علي آل عوضه القحطاني، نوقشت بتاريخ (1430/2/15هـ)، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بإشراف الدكتور عبد العزيز بن ناصر السبر، لم تنشر. وهذه الرسالة لم تتعرض للناحية البلاغية للاسم الموصول، بل لأثره في التفسير فقط.

- تميّز هذا البحث بتخصيصه للاسم الموصول ودلالاته البلاغية في سورة البقرة دون التطرق لمسائل أخرى خارج هذا النطاق.

أهداف الدراسة

لقد كان اختياري لهذا الموضوع لأهداف عدة، منها:

1. إن أفضل علم يبحث فيه الدارس هو كتاب الله تعالى، لنيل الثواب من العلي القدير، فكتاب الله تعالى لا تنقضي عجائبه، والاسم الموصول عجيبة من عجائبه.
2. جمع المادة العلمية لهذا الموضوع وإظهاره بثوب جديد يخدم القرآن الكريم.
3. رفد المكتبة القرآنية بهذا الموضوع الهام، لإثراء المعلومات عند الدارسين.

الفصل الأول

الاسم الموصول بين المفهوم اللغوي والدلالة البلاغية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى الاسم الموصول

المبحث الثاني: معاني الأسماء الموصولة في سورة البقرة

المبحث الثالث: الفوائد البلاغية للأسماء الموصولة

المبحث الرابع: الدلالة البلاغية للاسم الموصول في سياق العقيدة والأحكام الشرعية

تمهيد

جاء هذا الفصل لدراسة الاسم الموصول لغوياً وبلاغياً وارتباطهما معاً، فقسمته إلى أربعة مباحث، هي على النحو الآتي: المبحث الأول: معنى الاسم الموصول، ذكرت فيه المعنى اللغوي. يليه المبحث الثاني: الفوائد البلاغية للأسماء الموصولة، وهذا المبحث بيّن دور الاسم الموصول بلاغياً ومدى علاقته بالسياق. والمبحث الثالث: معاني الأسماء الموصولة في سورة البقرة: وهذا المبحث أشار إلى الأسماء الموصولة الواردة في سورة البقرة كل على حدة مع بيان معنى كل اسم منها. ثم المبحث الرابع: الدلالة البلاغية للاسم الموصول في سياق العقيدة والأحكام الشرعية، وهذا المبحث بيّن كيف ينسجم الاسم الموصول مع العقيدة والحكم الشرعي في الآية من خلال دخوله في السياق.

أما علاقة كل مبحث من هذه المباحث مع بعضها فهي أن المبحث الأول بيّن أولاً معنى الاسم الموصول لغوياً، فكان مبيّناً للفوائد البلاغية لهذه الأسماء على اعتبار أن البلاغة تتبع من عمق اللغة، ثم يأتي المبحث الثالث ليبين أن الاسم الموصول بفائدته البلاغية يسمو بموقعه، فكل اسم له دور يؤديه، فلو استبدل اسم مكان اسم آخر لاضطرب السياق، ولا شك أن هذا الكلام ينطبق أيضاً على الأحكام الشرعية وعلاقتها بالأسماء الموصولة.

المبحث الأول

معنى الاسم الموصول

في بداية هذا المبحث لا بد من الحديث عن جذر كلمة (موصول) وهو (وصل)، فعند ابن فارس¹ أن " الواو والصاد واللام: أصلٌ واحد يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حتَّى يعلَّقه. ووَصَلْتُهُ به وَصْلاً. والوَصْل: ضِدُّ الهَجْرَان. ومَوْصِلُ البعير: ما بين عَجْزِهِ وفَخْذِهِ ... ويقول وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصْلاً، والموصول به وَصِلْتُ بكسر الواو"².

أما بالنسبة للاسم الموصول فقد عرفه ابن هشام الأنصاري³ بقوله: "ما افتقر إلى الوصل بجملة خبرية أو ظرف أو مجرور تامين أو وصف صريح وإلى عائد أو خلفه"⁴. وأورد الجرجاني⁵ معنى الموصول فقا: "ما لا يكون جزءاً تاماً إلا بصلة وعائد"⁶.

¹ كان نحوياً على طريقة الكوفي سمع أباه وعلي بن إبراهيم بن سلمة، وقرأ عليه الأديب الهمداني وكان إماماً في علوم شتى خصوصاً باللغة، وكان شافعيّاً فتحول مالكيّاً وقال: أخذتني الحمية لهذا الإمام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه وكان صاحب بن عباد تلمذ له ويقول شيخنا: ممن رزق حسن التصنيف وكان كريماً جداً ربما سُئل فيهب ثيابه وفرش بيته. انظر: القنوجي: أبجد العلوم. (6/3).

² ابن فارس، أحمد، ت(395هـ). معجم مقاييس اللغة. (6) مج. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. (1399هـ/1979م). (د. ط.). (115/6).

³ مؤلف عديم المثال كثير الفائدة قليل الأقوال، لخص الإنصاف لابن المنير والانتصاف للشيخ عبد الكريم العراقي في مختصر لطيف مع زيادة قليلة، ونظر إلى الهفوات في تفسير الكشاف وحذف ما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، واقتصر على ما يتعلق بتفسير الآية من الدليل والحمل على التأويل. انظر: الداودي: طبقات المفسرين. (290/1).

⁴ ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن عبد الله، ت(761هـ): شرح شذور الذهب تحقيق: عبد الغني الدقر. ط1. سوريا: الشركة المتحدة للتوزيع. 1404هـ/1984م. ص(183).

⁵

⁶ الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ت(816هـ): التعريفات. تحقيق: محمد علي أبو العباس. القاهرة: مكتبة القرآن. (د. ت/ د. ط.). ص(229).

وعرّف الأسمرى¹ الاسم الموصول بقوله هو: "ما دل على مُعَيَّن بواسطة الصلة"² وهذا التعريف اقتصر على دلالة الاسم الموصول على شيء معين دون باقي الأشياء، لكن لا يكتمل معناه إلا بارتباطه بالصلة.

وقال عبد اللطيف السعيد في تعريف الاسم الموصول: "اسم معرفة يدل على معين بجملة تذكر بعده تسمى صلة الموصول تشتمل على عائد على الاسم الموصول، ويكون العائد ضميراً³، وبيّن المؤلف أن الموصول ليس نكرة بل هو اسم معرفة من خلال العائد الذي بعده، وأن هذا العائد لا يكون إلا ضميراً.

وأورد الفوزان⁴ تعريف الاسم الموصول فقال: "اسم يعين مسماه بقيد الصلة المشتملة على عائد"⁵، وهذا التعريف زاد فيه عن تعريف الأسمرى بالعائد، مثال ذلك: حضر الذي فاز ابنه. الذي: اسم مبهم لا يدل على معين، وجملة (فاز ابنه) هي الصلة التي عينت المراد، والعائد على الاسم الموصول هو الضمير في (ابنه)⁶.

¹ صالح بن محمد بن حسن آل عمير، الأسمرى، القحطاني، حفظ القرآن زمن الصبا، ثم شرع في حفظ المتون فحفظ مجموعة من المتون في شتى الفنون، وأخذ العلم وتلقاه على يدي جماعة من علماء الحرمين وغيرهم، قام بالتدريس في وزارة المعارف، وتولى إدارة الأوقاف والمساجد، ومدرساً ومفتياً في وزارة الأوقاف السعودية. انظر:

<http://islam-call.com/authors/v/id/180>

² الأسمرى، صالح بن محمد بن حسن: شرح الأجرومية. لا يوجد معلومات نشر. ص(75).

³ السعيد، عبد اللطيف: قواعد اللغة العربية المبسطة. ط (3). (2006م). (د. م). ص(22).

⁴ وُلِدَ عام (1354هـ)، تعلم القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد إمام مسجد البلد، حصل على الدرجات العلمية من كلية الشريعة في الرياض، وهو عضو في هيئة كبار العلماء وعضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة. انظر:

http://al-fuzan.net/?page_id=14

⁵ الفوزان، عبد الله بن صالح: تعجيل الندى شرح قطر الندى. لا يوجد معلومات نشر. ص(84).

⁶ انظر: الفوزان: تعجيل الندى شرح قطر الندى. ص(84).

ومن جملة التعريفات عند العلماء ما أورده الخضري¹ في تعريف الاسم الموصول فقال: "اسم مفعول من وصل الشيء بغيره جعله من تمامه إذ لا يتم معناه إلا بالصلة"².

يتضح من خلال ربط التعريفات السابقة مع جذر كلمة (موصول) وهو (وصل) أن (وصل) هو ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه، والاسم الموصول لا يكتمل معناه إلا بالصلة، فمن دونها لا يكتمل المعنى بتاتاً، فلا يصح أن نقول: جاء الذي. لأن المعنى يبقى مبهماً فضم الصلة إلى الاسم الموصول يجعل الجملة مكتملة، وهذه هي العلاقة بين الجذر والكلمة.

ويجوز أن نسمي الاسم الموصول اسماً ناقصاً لأن الاسم الناقص يحتاج إلى جملة تكمل المعنى، والاسم الموصول كذلك، وهذا ما ذكره الصبان³ عن الاسم الموصول أنه اسم ناقص فقال: "أراد به الاسم الموصول لعدم دلالاته على معناه إلا بصلته"⁴.

وعند النظر في تجزئة الاسم الموصول يُلاحظ أن الألف واللام في الاسم الموصول ليستا للتعريف لأنه معرف بالصلة⁵. وهذا ينبني عليه أن الألف واللام في الاسم الموصول

¹ فقيه شافعي، عالم بالعربية، مولده ووفاته في دمياط (مصر)، دخل الأزهر، وصمّت أذناه، فعاد إلى بلده واشتغل بالعلوم الشرعية والفلسفية، له كتب عدة، منها: شرح زاد المسافرين، سواد العين، حاشية على شرح الملوي على السمرقندية. انظر: الزركلي: الأعلام. (100/7).

² الخضري، محمد بن مصطفى: حاشية الخضري على ابن عقيل. دار إحياء الكتب العربية. (د. ط/ د. ت). (70/1).

³ محمد بن علي الصبان المصري من كبار العلماء المصريين في القرن الثالث عشر الهجري، من أشهر ألقابه: أبو العرفان المصري وُلِدَ بمصر وحفظ القرآن في صغره، تلقى العلم على أيدي كبار العلماء أمثال الشيخ الملوي، والشيخ حسن المدابغي، له منظومة سماها: الكافية الشافية في علمي العروض والقافية، توفي عام (1206هـ) بالقاهرة. انظر: الجبرتي: عجائب الآثار. (25/2). انظر: اكتفاء القنوع. (476/1).

⁴ الصبان، محمد بن علي: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. لا يوجد معلومات نشر. (684/1).

⁵ انظر: الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، ت(577هـ): أسرار العربية. تحقيق: د. فخر صالح قدارة. ط

(1). بيروت: دار الجيل. (1995م). ص(210).

زائدتان زيادة لازمة، فما دخل عليه أل من الموصولات وهو مبني على أن تعريف الموصول بالصلة فتكون الألف واللام زائدتين¹.

ومن الملاحظ أن الأسماء الموصولة تكتب بلام واحدة وليس بلامين كما تلفظ، والحق أن كثرة شيوعها واستعمالها جعلها تكتب بهذه الصورة، فقد أورد الصبان هذا المعنى فقال: "قوله (الذي) يكتب الذي والتي بلام واحدة لكثرة كتابتهما وإن كان الأصل كتابتهما بلامين كما هو القياس في كتابة اللفظ المبدوء بلام المحلي بأل كاللبن ويكتب (الذين) جمعاً بلام واحدة لتلك الكثرة وللفرق بين رسمه ورسم (الذين) مثني في الجر والنصب لا الرفع لحصول الفرق فيه بالألف في المثني دون الجمع ولم يعكس لسبق المثني فيكون أحق بالأصل من اجتماع اللامين"².

¹ انظر: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، ت(769هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. (2) مج.

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة دار التراث. (1426هـ/2005م). (د. ط.). (149/1-150).

*ابن عقيل: شيخ الشافعية في بلدة مصر، كان بارعاً في الفقه والتفسير والعربية، وله مصنفات كثيرة، منها: كتاب الجامع

النفيس على مذهب الإمام محمد بن إدريس والتفسير المسمى بالذخيرة والإملاء الوجيز على الكتاب العزيز. انظر:

الداودي: طبقات المفسرين. (245/1).

² الصبان، حاشية الصبان. (304/1).

المبحث الثاني

معاني الأسماء الموصولة في سورة البقرة

يجد دارس البلاغة العربية فروقاً جوهريّة في المعنى بين الأسماء الموصولة فكل اسم له دوره في الجملة التي ورد فيها، وهذا المبحث يقتصر فقط على الأسماء الموصولة التي وردت في سورة البقرة فالغرض هو تبيان الفرق بين هذه الأسماء من حيث المعنى؛ حتى يتبين للقارئ دقة السياق القرآني في سبك الألفاظ وإخراجها في ثوب يدل على عظمة نظم الدستور العظيم.

وعند استقراء سورة البقرة مثلاً يتبين أن الأسماء الموصولة التي وردت فيها هي على النحو الآتي: الذي، الذين، التي، مَنْ، ما.

• أولاً: الذي

الاسم الموصول (الذي) للمفرد المذكر، سواء كان مفرداً حقيقة، مثل: زيد الذي يزورنا رجل كريم، أو مفرداً حكماً، مثل: الفريق الذي أكون فيه فريق مخلص، والاسم الموصول (الذي) يكون للعاقل وغيره¹، فمجيء (الذي) للعاقل فمثاله في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة:) ومجيء (الذي) لغير العاقل فمثاله في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٥).

• ثانياً: الذين

تستعمل لجماعة الذكور ويختص بالعقلاء، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة:) وقد تستعمل لما ينزل منزلة العقلاء كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ

¹ انظر: ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. (119/1).

أَمْثَالُكُمْ ﴿ (الأعراف:) فنزل الأصنام لمّا عبدوها منزلة العاقل¹، وهذا يعكس مدى انحطاط تفكيرهم حيث جعلوا الأصنام لمّا عبدوها بمنزلة العاقل.

• ثالثاً: التي

تستعمل للمفرد المؤنث سواءً كانت شخصاً عاقلاً أو غيره²، تقول (أقبلت البنت التي ربحت الجائزة)، قال تعالى: ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ أَلَى كَأَوْأَ عَلَيْهَا ﴾ (البقرة:) وتستعمل لغير العاقل كقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (البقرة:).

ويبدو أنها تستعمل للكثرة في غير العاقل، أما (اللاتي) فإنها تستعمل للقلّة، تقول: "اشتريت الحقائق التي عرضتها في المعرض " و " اشتريت الحقائق اللاتي عرضتها في المعرض " فالحقائب التي عرضتها أكثر عدداً من الحقائق اللاتي عرضتهن³.

• رابعاً: مَنْ

" تكون بلفظ واحد: للمذكر والمؤنث المفرد والمثنى والمجموع"⁴.

¹ انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط. (8) مج. تحقيق: علي محمد معوض وآخرين. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1422هـ/2001). (439/4).

*أبو حيان: قرأ القراءات بالإسكندرية على عبد النصير المربوطي صاحب الصفراوي، وبالقاهرة على أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي صاحب أبي الجود وقرأ التيسير سنة احدى وسبعين وست مائة على أبي علي، وأخذ علم الحديث عن الدمياطي وغيره وسمع من عبد العزيز بن الصيقل وغازي الحلاوي وطبقتهما، ومع براعته الكاملة في العربية له يد طولى في الفقه والآثار والقراءات وله مصنفات في القراءات والنحو وهو مفخر أهل مصر. انظر: معرفة القراء الكبار. (723/2-724).

² انظر: ابن هشام، عبد الله بن جمال الدين بن يوسف، ت(761هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. (4) مج. تحقيق د. محمود مصطفى حلاوي. ط (1). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1418هـ/1998م). (190/1).

³ انظر: السامرائي: معاني النحو. (116/1).

⁴ ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. (124/1).

تكون للعاقل، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا﴾ (البقرة:)، ولغير العاقل في ثلاث مسائل:

- إحداها: أن ينزل منزلته نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ (الأحقاف:) فعبر عن الأصنام بـ ﴿مَنْ﴾ لتنزيلها منزلة العاقل.
- والثانية: أن يجتمع مع العاقل في ما وقعت عليه (من) نحو قوله تعالى: ﴿كَمْ لَا يَخْلُقُ﴾ (النحل:) لشموله الآدميين والملائكة والأصنام.
- والثالثة: أن يقترن بالعاقل في عموم فصل بمن، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ يَمْشِ عَلَى بَطْنِهِ﴾ (النور:) لاقتترانه بالعاقل في: ﴿كُلُّ دَابَّةٍ﴾ (النور:)¹.
- خامساً: ما

تقع على ذوات ما لا يعقل، وعلى صفات من يعقل، فمن الأول قولك (أكل ما تأكل) و(أعجبنى ما قدمته لي) قال تعالى: ﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَفَ مَا صَنَعُوا﴾ (طه:)، فما في يمينه هي العصا، وما صنعوه هو أفاعيهم المتخيلة وهذا لغير العاقل. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣) قالوا أي الطيب منهن².

ومن اللفظات البلاغية في الفرق بين الاسم اللاموصول (الذي) والاسم الموصول (ما) مع أن كليهما اسم موصول، لكن الناظر في الأسماء الموصولة يجد بينها فروقاً في المعنى، كل منها

¹ انظر: ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. (199/1 - 205). السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت(911هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. (3) مج. تحقيق: عبد الحميد هنداي. مصر: المكتبة التوفيقية. (د. ط / د. ت). (351/1). السامرائي فاضل صالح: معاني النحو. (4) مج. ط (2). عمان: دار الفكر. (1423هـ/2002م). (119/1).

² انظر: ابن عقيل، حاشية ابن عقيل على ألفية ابن مالك. (124/1). ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. (205/1 - 206). السامرائي: معاني النحو. (120/1).

له دوره، فالاسم الموصول (الذي) يدخل على جملة سبق للسامع علمً به¹ والأمثلة تبين هذا المعنى ففي قول الحق سبحانه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ (البقرة: ١٧) جاء الاسم الموصول ﴿الَّذِي﴾ وقد سبق العلم عن المنافقين بتبيان أوصافهم وكشف خفاياهم ونياتهم، حينها جاء الاسم الموصول ﴿الَّذِي﴾ بعد سرد أوصافهم.

أما الاسم الموصول (ما) فهو يقع على ذوات ما لا يعقل، وعلى صفات من يعقل²، و "ما مبهمة تقع على كل شيء"³.

• سادساً: ذا

ومن الأسماء الواردة في سورة البقرة؛ (ذا) في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ (البقرة:)، فقد سأل الصحابة ماذا ينفقون وعن أفضل النفقة، فتقدير الجملة الذي ينفقونه قل الغفو، برفع الغفو وهي على قراءة أبي عمرو البصري⁴.

¹ انظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: دلائل الإعجاز. تحقيق: د. محمد التنجي. ط (1). بيروت: دار الكتاب العربي. (1995م). ص(159-160).

*الجرجاني: كان شافعي المذهب متكلماً على طريقة الأشعري وفيه دين وله فضيلة تامة بالنحو صنف كتباً كثيرة فمن أشهرها: كتاب الجمل وشرحه بكتاب سماه التلخيص وكتاب العمدة في التصريف وكتاب المفتاح في مجلد وشرح الفاتحة في مجلد وكتاب المغني في شرح الإيضاح في نحو ثلاثين مجلداً وكتاب الاقتصاد في شرح الإيضاح أيضاً ثلاث مجلدات وغير ذلك أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي. انظر: طبقات الشافعية. (252/1).

² انظر: السامرائي: معاني النحو. (120/1).

³ سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، ت(180هـ): الكتاب. 5 مج. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط (1). بيروت: دار الجيل. (د. ت). (228/4).

*سيبويه: نحوي من أهل البصرة، كان يطلب الآثار والفقه، ثم صحب الخليل بن أحمد، فبرع في النحو، كان غاية الخلق في النحو، وكتابه هو الإمام فيه، وأخذ الأخفش عنه، وكان أفهم الناس في النحو. انظر: تاريخ بغداد. (196- 195/12).

⁴ انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، ت(833هـ): النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. (182/2). لا يوجد معلومات نشر.

قال أبو السعود¹: "وقرئ بالرفع على أن (ما) استفهامية و (ذا) موصولة، صلتها ينفقون، أي الذي ينفقونه العفو"².

• سابعاً: (ال) التعريف

ومن الأسماء الموصولة (ال) التعريف الداخلة على المشتقات، نحو: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ (الحديد:)، فتقدير الجملة: إن الذين تصدقوا واللاتي تصدقن، ويلاحظ من خلال هذا الشاهد أن (ال) الموصولة تستعمل للعاقل، ونحو: ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ ۖ وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ (الطور:)، فتقدير الجملة (السقف الذي رفع والبحر الذي سجر)، ويلاحظ هنا أيضاً في هذا الشاهد أن (ال) الموصولة تستعمل لغير العاقل³.

¹ هو الدين والدنيا هو اللفظ والمعنى هو الغاية القصوى هو الذروة العليا سلطان المفسرين مقدمة جيش المتأخرين مفتي الأنام مفني البدع والآثام صاحب أذبال الإفضال والإسعاد وصاحب الإرشاد ابن صاحب الإرشاد، كان أبوه الشيخ محمد بن مصطفى العماد، ولد المولى المذكور في شهر صفر سنة (896هـ)، قرأ حاشية التجريد وشرح المفتاح وشرح المواقف من أوله إلى آخره على أبيه وكان في مسند المشيخة الإسلامية قريباً إلى ثلاثين سنة. انظر: طبقات المفسرين. (398/1).

² أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، ت(982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. (9) مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ط/ د. ت). (219/1).

³ انظر: ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. (212/1 213).

المبحث الثالث

الفوائد البلاغية للأسماء الموصولة

لا يخفى على دارس البلاغة العربية أن للاسم الموصول فوائد بلاغية جمّة تجعل للسياق دلالة فريدة تغني عن ذكر كثير من الكلام، ومن هذه الفوائد:

أولاً: التعليل

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:) جاء الاسم الموصول ﴿الَّذِي﴾ للتعليل، فرب العزة صاحب الخلق يأمرهم بأن يعبدوه لأنه خلقهم، وكفى بها نعمة، فالناظر في المخلوقات حوله يرى سعة ملك الجليل العظيم فيدفعه إلى شكر الحق سبحانه على نعمه وآلائه.

فقوله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (البقرة:) الموصول فيها " صفة مادحة للرب وفيها أيضاً تعليل العبادة"¹.

وذكر الزمخشري² في تفسيره أن الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ للمدح والتعظيم فقال: "والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم"³.

¹ الألويسي، محمود أبو الفضل، ت(1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (30) مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ط/ د. ت). (184/1). وانظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (59/1).

² النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر يُلقب جارا لله لأنه جاور بمكة زماناً ولد في رجب سنة (467هـ) بزمخشر قرية من قرى خوارزم وقدم بغداد وسمع من أبي الخطاب بن البطر وغيره قال ابن السمعاني: كان ممن برع في الأدب والنحو واللغة. لقي الكبار وصنف التصانيف ما دخل بلداً إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له وكان علامة الأدب ونسابة العرب تُضرب إليه أكباد الإبل. انظر: طبقات المفسرين. (120/1-121).

³ الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (4) مج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ط.). (د. ت.). (122/1).

ومن الملاحظ أن الآية جاءت بالاسم الموصول ﴿الَّذِي﴾ ولم تأت بصيغة (اعبدوا ربكم خالقكم) دون الاسم الموصول (الذي) مع أن كلا السياقين يبين أن الحق سبحانه خلقهم، فكلمة (خالقكم) صفة للرب، أما ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ فمع كون صفة الخلق قد ذُكرت؛ فقد أضيفت معها علة العبادة بالاسم الموصول على اعتبار أن الاسم الموصول هنا جاء للتعليل، فالحق سبحانه يخاطب الناس جميعاً موحدين وغير موحدين بأنه عليهم أن يعبدوه لأنه خلقهم.

وكذا في قول الحق سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ (البقرة: ٩١) فرب العزة لم يصرح بذكر القرآن الكريم، بل عدل إلى ذكر الموصول وهو ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ لأن العلة هي أن يؤمنوا بنزوله من عند الحق سبحانه كالنوراة، فهم قد آمنوا بالتوراة المنزلة من عند الحق سبحانه، لكن جحود اليهود أعمى بصيرتهم فقالوا: "إن الذي دعانا للإيمان بالتوراة ليس هو كونها أنزلها الله فحسب، بل إننا آمنّا بها لأن الله أنزلها علينا، والقرآن لم ينزله علينا، فلکم قرآنکم ولنا توراتنا، ولكل أمة شرعة ومنهاج"¹. فهم عللوا عدم إيمانهم بالقرآن لأنه لم ينزل عليهم، وعللوا إيمانهم بالتوراة أنها نازلة من عند الحق سبحانه عليهم، ولذلك كفروا بما وراءها، فخلاصة الأمر: أن الحق سبحانه أراد تبين ظلمهم وكفرهم بأن نزل القرآن فلم يؤمنوا به مع أنه نزل من عنده سبحانه، لذلك عدل عن التصريح بالاسم الظاهر إلى الاسم الموصول ﴿ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، وهم قد عدلوا إلى الاسم الموصول عن التصريح بذكر التوراة ﴿قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾ ليظهر الحق سبحانه اللفظة البلاغية التي ذُكرت وهي أن التوراة نزلت عليهم أما القرآن فلم ينزل عليهم فكفروا به.

والخلاصة أن السياق يبين اسم القرآن لأنه يسلط الضوء على أنه نزل من عند الحق سبحانه كالكتب السماوية السابقة.

وفي السورة ذاتها عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا﴾ (البقرة: ١٧٠) تشابه الحال بالآية السابقة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا

¹ دراز، محمد عبد الله، ت (1958م): النبأ العظيم. الدوحة: دار الثقافة. (1985م). (د. ط). ص (120-121).

*دراز: فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هبة كبار العلماء بالأزهر. انظر: الزركلي: الأعلام. (246/6).

أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴿البقرة: ٩١﴾ بوجوب الأمر بالإيمان بهذا الكتاب المنزل فهاتان الآيتان جاء فيهما الاسم الموصول وما في حيزه من الصلة للتعليل، ففي الآية (١٧٠) لم يكن فيها مقابلة كتاب بكتاب كما في الآية (91) في سورة البقرة، فالتعبير بالاسم الموصول وما في حيزه من الصلة لتعليل وجوب الأمر بالاتباع لهذا الكتاب المنزل، فلو كان التعبير (اتبعوا القرآن) لم يكن فيه علة وجوب الاتباع له، لكنه لما قال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ تضمن علة ذلك؛ وهي أن الله جل جلاله، صاحب الجلال والكمال، المستحق للخشية والرهبة هو الذي أنزل هذا الكتاب، ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من الحمل على الاتباع لهذا الكتاب المنزل. وهذا ينطبق على الآيتين معاً، سواء اقترن بذكر القرآن كتاب آخر أو لم يقترن.

ثانياً: الثناء

عندما يكون الكلام مدحاً وثناءً لأناس صدقوا بعملهم وقولهم؛ يكون الاسم الموصول في الجملة من أجل ترسيخ هذا المفهوم دون التصريح بأسمائهم، لأن الأمر لا يقتصر عليهم وحدهم، فكل من كان بمنزلتهم وسار على نهجهم نال الثناء نفسه.

ففي قول الحق سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣) وصفهم الحق سبحانه بصفات سامية من قام بها استحق الفوز في الدنيا والآخرة، فالآية افتتحت بالاسم الموصول ليبدل على حصر هذه الصفات للمتقين.

يقول ابن عاشور¹: "وقد أجريت هذه الصفات للثناء على الذين آمنوا بعد الإشراك بأن كان رائدهم إلى الإيمان هو التقوى والنظر في العاقبة"².

¹ رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عيّن (عام 1932) شيخاً للإسلام مالكيّاً، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة له مصنفات مطبوعة من أشهرها: (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة). انظر: الزركلي: الأعلام. (174/6).

² ابن عاشور، محمد الطاهر، ت(1393هـ): التحرير والتنوير. (30) مج. تونس: دار سحنون. (1997م). (د. ط.). (229/1).

ثالثاً: الذم

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة:) يلاحظ فيها أن الكفار يتصفون بنقض العهد وبقطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، فمجيء الاسم الموصول جعل الحكم عاماً يشمل كل من ينقض العهد بينه وبين الحق سبحانه.

إن الآية قد افتتحت بالاسم الموصول، وهذا مدعاة للبحث، فللاسم الموصول هنا وجهان إعرابيان، صفة، ومبتدأ.

يقول ابن عاشور عن الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ أنه " صفة للفاسقين لتقرير اتصافهم بالفسق"¹ فالاسم الموصول جاء بعدها مباشرة، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (١٣) ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة:) " وجوز أن تكون مقطوعة مستأنفة على أن ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ خبر وهي مع ذلك لا تخرج عن معنى توصيف الفاسقين بتلك الحال إذ الاستئناف لما ورد إثر حكاية حال عن الفاسقين تعين في حكم البلاغة أن تكون هاته الصلة من صفاتهم وأحوالهم للزوم الاتحاد في الجامع الخيالي وإلا لصار الكلام مقطوعاً منتوفاً فليس بين الاعتبارين إلا اختلاف الإعراب وأما المعنى فواحد فلذلك كان إعرابه صفة أرجح ... ومجيء الموصول هنا للتعريف بالمراد من الفاسقين أي الفاسقين الذين عرفوا بهذه الحال الثلاث"².

وقد جاءت صلة الموصول ﴿يَنْقُضُونَ﴾ فعلاً مضارعاً، وذلك أن هؤلاء متواجدون في كل زمان ومكان.

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (367/1).

² ابن عاشور: التحرير والتنوير. (367/1).

رابعاً: التعظيم

في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة:) جاءت هذه الآية تعقيباً على الحديث الذي كان بين الحق سبحانه وآدم عليه السلام، وبين آدم عليه السلام وإبليس، فرب العزة أراد أن يبين أن النعيم الذي كان فيه آدم عليه السلام نعيم عظيم لا يفوقه نعيم، فالتعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على ذلك.

يقول ابن عاشور: "والمراد من الموصول وصلته التعظيم، كقولهم قد كان ما كان"¹.

خامساً: التهديد

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ يَمُونَهُ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:) أمر من الحق سبحانه لبني إسرائيل أن يأخذوا ما آتاهم من البيّنات ليكون صلاحاً لمعيشتهم، وذلك بعد أن هددهم بإسقاط الجبل عليهم لما طار فوق رؤوسهم كأنه ظلة، فخافوا من وقوع الجبل عليهم ولم يخافوا ممن رفعه وهو الله رب العالمين، وذلك لأنه أمرهم وحذرهم فلم يعيروا أمره اهتماماً، وهذا نابع من عدم الخوف، فقد قيل لهم: "خذوها وعليكم الميثاق أن لا تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، وأغرقكم البحر، وأحرقكم النار، فسجدوا توبة لله، وأخذوا التوراة بالميثاق"².

وفي الآية: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ﴾ جاء الاسم الموصول ليعبر عن الأوامر التي جاءتهم لينفذوها حتى تكون صلاحاً لمعيشتهم وهي "ما أوحاه إلى موسى وهو الكلمات العشر التي هي قواعد شريعة التوراة"³.

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (434/1).

² أبو حيان: البحر المحيط. (406/1).

³ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (542/1).

وعند الطبري¹: "خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض، فاقبلوه، واعملوا
باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توان"².

فالحق سبحانه قد رفع الجبل فوق رؤوسهم تهديداً لهم بأن يأخذوا الميثاق بقوة، وكلمة ﴿خُذُوا﴾ أمر من الله تعالى لبني إسرائيل بأخذ الميثاق، فالسياق سياق تهديد، والاسم الموصول من ضمن هذا السياق.

سادساً: انتفاء الخصوصية

فمن فوائده "عدم إلباس الذات في الموضوع وعدم استبدال القضية بذات الشخص وتحويل الصراع إلى صراع ذاتي أو شخصي"³، فهو يتعالى على الزمان والمكان والأشخاص، فلا يرتبط بهم ليبقى مطلقاً عن الخصوصية، فالاسم الموصول على إبهامه يؤدي دوره على أكمل وجه.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (البقرة: ١٠٤) وقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ (البقرة:) هذه الأسماء الموصولة وغيرها في القرآن الكريم تعطي دلالة على عدم ربطه بزمان أو مكان أو حدث معين وعدم احتكاره على أحد، "فلو أن القرآن الكريم كان

¹ هو الإمام العلم صاحب التصانيف العظيمة والتفسير المشهور مولده (224هـ) أخذ الفقه عن الزعفراني والربيع المرادي قال الخطيب: سمعت علي بن عبد الله اللغوي يقول: مكث ابن جرير أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة قال أبو جعفر الطبري: أظهرت مذهب الشافعي واقتديت به ببغداد عشر سنين وتلقاه مني ابن بشار الأحول شيخ ابن سريج. انظر: طبقات الشافعية. (100/1-101).

² الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، ت(310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (24) مج. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط (1). مؤسسة الرسالة. (1420هـ/2000م). (161/2).

³ المقرئ الإدريسي، أبو زيد: "منهج الحوار في القرآن الكريم". القسم الثاني

www.alrashad.org/issues/11/11_idrisi.htm

يصاغ بشكل شخصي؛ فسيذكر أشخاصاً بما كان من شأنهم من الصدود والعناد والتصدي للدعوة، ثم يسلم هؤلاء فيصبح النص القرآني غير قادر على الاستمرار حتى زمانه ومكانه"¹.

سابعاً: الإيجاز

من فوائد الاسم الموصول أنه يوجز الكلام، فجملة: جاء الذين فازوا بالراحة. فسيكون الاسم الموصول في هذه الجملة قد أوجز أسماء كثيرة نحن في غنى عن ذكرها، إما لأنها معروفة بالنسبة للسامع أو لعدم وجود أهمية لذكرها.

في قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٦) جاء الاسم الموصول هنا موجزاً لأناس كثيرين "كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأخبار اليهود"² وغيرهم الكثير من صناديد الكفر المعادين للإسلام على مر الزمان، فالاسم الموصول قد اختصر أسماء كثيرة لا حاجة لذكرها حتى يعم الحكم والجزاء على كل من سار على إثرهم، فلو ذكر الحق سبحانه أسماءهم بدل الاسم الموصول لفاتت هذه الفائدة.

¹ المقرئ الإدريسي، أبو زيد: "منهج الحوار في القرآن الكريم". القسم الثاني

www.alrashad.org/issues/11/11_Idrisi.htm

² أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (35/1).

المبحث الرابع

الدلالة البلاغية للاسم الموصول في سياق العقيدة والأحكام الشرعية

آيات القرآن الكريم كالعقد المصنوع من اللؤلؤ المرصوص، إذا وقعت منه حبة لم تعد ترى ذلك الجمال العظيم، فالسياق القرآني مبني بإحكام من لدن حكيم خبير، فكل لفظة لها مكانها تؤدي فيه دورها، وكذا الاسم الموصول ودلالته البلاغية في العقيدة والأحكام الشرعية، فترى دوره في سياق الآيات التي تتحدث عن العقيدة والأحكام الشرعية ومدى تأثيره، هذا إن دل على شيء فهو يدل على دقة النظم القرآني الحكيم، ومن خلال الأمثلة الآتية يتبين ذلك.

يتضمن هذا المبحث المطالب الآتية:

المطلب الأول : الدلالة البلاغية للتعبير بالاسم الموصول في سياق العقيدة

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (البقرة:) جاء في الآية ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ولم يأت (اعبدوا ربكم خالقكم) مع أن كلا السياقين يبيّن أن الحق سبحانه خلقهم، فكلمة (خالقكم) صفة للرب، أما ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ فمع كون صفة الخلق قد أثبتت فقد أضيفت معها علة العبادة من خلال الاسم الموصول، فالحق سبحانه يخاطب كفار قريش الذين كانوا غير موحدين وغير معترفين بإله واحد بأن عليهم توجيه عبادتهم إليه سبحانه لأنه خلقهم.

إن هذه الآية بمثابة أمر بعبادته لأنه امتن عليهم بنعم عظيمة وجسيمة بينها لهم في الآية التي تلتها وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ (البقرة:)، وعلى رأس هذه النعم أنه خلقهم وخلق الذين من قبلهم، فبعد الأمر بعبادته بيّن نعمه عليهم بأنه فرش لهم الأرض وصارت السماء مبنية من لدن خالق عظيم، فقال الحق سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ (البقرة:) فجاء الاسم الموصول ﴿الَّذِي﴾ في مفتتح الآية في سياق امتنان الخالق على عباده فعدل عن الاسم الصريح إلى الاسم الموصول لأن

الآية التي سبقتها¹ بيّنت ثناءه سبحانه، فافتتاح الآية ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ بالاسم الموصول يدل على الحصر والقصر، فله الفضل كله، وهو صاحب النعمة المتفضل بها على العباد كلهم.

وفي سياق آخر عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة:)، تحدثت هذه الآية عن رعاية الحق سبحانه لعباده المؤمنين الذين شهدوا له بالوحدانية، فهو يمن عليهم أنه وليهم أي "ناصرهم ومعينهم وقيل: محبهم، وقيل متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره"²، فالآية التي سبقتها وهي: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة:) تتحدث عن فريق كفر بالطاغوت وآمن بالله فكانت النتيجة أن استمسك بالعروة الوثقى، فالأصل إذن الكفر بالطواغيت حتى يخلي المرء قلبه من كل رجس، وبعدها يصبح القلب نقياً طاهراً مستعداً لتلقي الإيمان بالله تعالى، ولا يصلح أن يؤمن المرء وفي قلبه شيء من إيمان بالطاغوت ولو بمتقال الذرة فالتعبير بالاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ يشمل كل المؤمنين دون تخصيص، وصلة الموصول جاءت فعلاً ماضياً ليدل على أنهم نالوا ولاية الله تعالى لهم بإيمانهم بالله تعالى.

¹ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:).

² البغوي، الحسين بن مسعود، ت(516هـ): معالم التنزيل. (8) مج. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون. ط (4). دار طيبة. (1417م). (د. م). (315/1).

*البغوي: صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب في الفقه والجمع بين الصحيحين والمصابيح في الصحاح والحسان وغير ذلك اشتغل على القاضي حسين وبرع في هذه العلوم وكان علامة زمانه فيها وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً. انظر: البداية والنهاية. (193/12).

يقول الشعراوي¹: "إن الله ولي الذين آمنوا ما دام ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (البقرة:) وكأن الحق يشرح ذلك بهذه الآية، فما دام العبد سيتصل بالعروة الوثقى ويستمسك بها، وهذه ليس لها انفصام فقد صارت ولايته لله"².

المطلب الثاني : الدلالة البلاغية للتعبير بالاسم الموصول في سياق العبادات

موضوع الإنفاق مثلاً بيّن الحق سبحانه أن على المنفق أن يكون عمله خالصاً لله جل علاه حتى يكون متقبلاً عنده سبحانه، ففي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 261- 262)، يرشدهم الحق سبحانه كيف يخرجون أموالهم حتى تكون متقبلة، فإذا أراد المنفق أن يجعل عمله هذا متقبلاً؛ عليه أن يلتزم بشرطين أساسيين لا غنى عنهما كما ذكرهما الحق سبحانه في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾، فالتعبير فيه بالاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ جاء عاماً يشمل المؤمنين، وصلة الموصول "مؤذنة بأن المراد خصوص حال إنفاقهم"³.

وفي سياق آيات الربا جاء الحديث عن بشاعة المرابين وظلمهم وكيف يمتصون دماء المدنيين دون اكتراث ولا شفقة، فلما قال الحق سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا

¹ ولد الإمام محمد متولي الشعراوي في (15-4-1911) بقرية دقادوس إحدى مدن الدقهلية بجمهورية مصر العربية وكان والده يعمل بالزراعة .. و حفظ القرآن الكريم في العاشرة وجوده في الخامسة عشرة من عمره ودخل معهد الزقازيق الابتدائي الأزهري ثم المعهد الثانوي، ذهب الشعراوي في رحلة للحج تابعة للأزهر وهو طالب عام (1938م) وتخرج في كلية اللغة العربية بالأزهر عام (1941) وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام (1943م). انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبه العلم المعاصرين. (325/1).

² الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي. (712/1). لا يوجد معلومات نشر.

³ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (41/3).

يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴿البقرة:﴾ (كان هذا السياق موجهاً للبشر جميعاً، والاسم الموصول يعم، دون تخصيص أحد دون أحد.

يقول ابن عطية¹: "والآية كلها في الكفار المربين نزلت ولهم قيل ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ (البقرة:) ولا يقال ذلك لمؤمن عاص ولكن يأخذ العصاة في الربا بطرف من وعيد هذه الآية²، فذكر أن الخطاب ليس محصوراً بالكفار، بل يأخذ العصاة بطرف من هذا الوعيد، فكثير من المسلمين من يتعاملون بالربا ولا يراعون عنه.

يُلحَظُ أن الآيات التي تحدثت عن الربا قد ابتدأت بالاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ ليدل على حصر حالة المس والتخبط بمن يأكل الربا، ويتركون سبيل الإنفاق الذي لا ينفع عن البركة، هذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى سخف عقول المرابين، فهم قد أخذوا الأمر على ظاهره بزيادة مالهم من خلال تعاملاتهم الربوية دون التدقيق في أنه سينتهي بالمحق كما هو حاصل في كل زمان ومكان دون أخذ العبرة، ففي مفتتح آيات الإنفاق وآيات الربا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: 261) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ (البقرة:) أن الاسم الموصول يشمل البشر جميعاً، فهم داخلون في هذا الخطاب من خلال إبهامه.

¹ الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي، حدث عن أبيه الحافظ الحجة أبي بكر وعن أبي علي الغساني ومحمد بن الفرج الطلاعي وخلائق، وكان فقهياً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيراً بلسان العرب واسع المعرفة له يد في الإنشاء والنظم والنثر وكان يتوقد ذكاء له التفسير المشهور ولي قضاء المرية. انظر: طبقات المفسرين. (60/1-61).

² ابن عطية، عبد الحق بن غالب، ت(541هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (5) مج. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1413هـ/1993م). (370/1).

المطلب الثالث: الدلالة البلاغية للتعبير بالاسم الموصول في سياق الأحوال الشخصية

في سياق الآيات التي تتحدث عن الأحوال الشخصية يلاحظ أن الاسم الموصول يؤدي دوراً مهماً لا تسد مكانه لفظة أخرى، فهو يعطي انعكاساً واضحاً على دلالاته البلاغية في الأحكام الشرعية ومن بينها الأحوال الشخصية، فمثلاً في قول الحق سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة:)، هذه الآية تحدث عنها العلماء كثيراً وأفادوا منها إفادة طيبة مع اختلافهم في تفسير ماهية الخلق في أرحام النساء المطلقات، فمن قائل إن الخلق المقصود في الآية هو الحمل دون غيره، ومن قائل إنه الحيض دون غيره، ومن قائل إنه الاثنان معاً دون تفرقة¹، والناظر في الواقع يجد أن تفسير الخلق في الآية بالحمل والحيض على حد سواء هو أقرب وأصوب، فالمرأة المطلقة بعد الدخول قد تكون حاملاً من زوجها المفارق، ويكون الحمل في أشهره الأولى، فهي قد تخفي حملها وتمكث ثلاثة قروء لتمضي العدة، فتتزوج وتنسب الجنين للزوج الثاني على اعتبار أن الحمل قد يصل إلى حده الأدنى وهو ستة أشهر ثم يولد الجنين، حينها لا غبار على الزواج الثاني ظاهراً في نسبة المولود للزوج الثاني، وهذا الأمر له آثاره السلبية فالنساء من طرف الزوج الأول لم يصبحوا محرمات عليه، كأخواته، وعماته وخالاته، وكذلك لا يرث من الزوج الأول، ومن طرف الزوج الثاني يحدث الأمر ذاته، فتتدخل الأنساب والأعراض ويرى عورات لا يحل له أن يراها، وكذلك يرث من الزوج الثاني، والحقيقة أنه لا يحق له أن يرث منه، كل ذلك بمجرد إخفاء الزوجة المطلقة حملها حتى لا تطيل العدة لتتزوج.

وهذا ينطبق على الحيض أيضاً، فباستطاعتها أن تخفي حيضها أو تظهره من أجل تقصير مدة العدة أو تطويلها، إما طمعاً برجوعها للزوج الأول أو طمعاً بمضي العدة بفترة أقصر حتى

¹ انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز. (293/1 - 294). الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم: الكشف والبيان. (10) مج.

تحقيق: أبي محمد بن عاشور. ط (1). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1422هـ/2002م). (171/2 - 172).

الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم: لباب التأويل في معاني التنزيل. (7) مج. بيروت: دار الفكر. (1399هـ/1979م).

(د. ط.). (225/1).

يتسنى لها أن تتزوج من رجل آخر، وهذه الأمور مخفية لا يطلع عليها إلا المرأة المطلقة نفسها لذلك ذكرها الحق سبحانه فقال: ﴿إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فالحق سبحانه يذكرها برباقته لها وبيوم الحساب حتى لا تخفي أموراً قد يكون مردودها سلباً¹.

وقد يكون هناك نساء يبيغين إسقاط الجنين فلا يعترفن به وينكرنه فجعل كتمان ما في الرحم كناية عن إسقاطه². كل ذلك لخصه الاسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ (البقرة:) . فإيهام الاسم الموصول في هذه الآية عمّ الحيض، والطهر، وإسقاط الجنين، حسب ما فهم المفسرون منه، فالاسم الموصول يحتمل كل هذه الأوجه.

¹ انظر: الرازي، محمد بن عمر التميمي: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم. (32) مج. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1421هـ/2000م). (79/6). الشعراوي: تفسير الشعراوي. (615/1 616).

*الرازي: كان إماماً وقته في العلوم العقلية وأحد الأئمة في العلوم الشرعية اشتغل بالعلم عند والده وكان من تلاميذ البغوي، رحل إلى كمال السمعاني ونجد الدين الجيلي ولازمهما، وبرع في العلوم حتى رحل إليه الناس من الأقطار وصنف تصانيفه المشهورة في كل علم. انظر: طبقات الفقهاء. (263/1).

² انظر: الزمخشري: الكشاف. (300/1).

الفصل الثاني

دلالة الاسم الموصول في السياق القرآني / دراسة تطبيقية على سورة البقرة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاسم الموصول في سياق التعليل

المبحث الثاني: الاسم الموصول في سياق المدح

المبحث الثالث: الاسم الموصول في سياق الذم

المبحث الرابع: الاسم الموصول في سياق التعظيم

المبحث الخامس: الاسم الموصول في سياق التهديد

تمهيد

سورة البقرة هي أطول سورة في القرآن الكريم، حوت كثيراً من الأسماء الموصولة، وقد تحدثت السورة عن المنهج القويم الذي يجب على البشرية أن تسير عليه، فإذا زاغت عاشت معيشة ضنكاً، فذكر في سورة البقرة مواضيع وأمثلة عدة، لتأخذ البشرية العبرة منها، فقد جرت أحداث كثيرة وردت في هذه السورة يستفاد منها، حتى لا يقع أحد في الخطأ ذاته، لتبقى البشرية في سبيل الرحمة والهداية لتتال الرضوان في الدنيا والآخرة.

وعلاقة هذا الحديث بالاسم الموصول؛ أن الاسم الموصول قد ورد في آيات كثيرة من سورة البقرة تحدثت عن شرائع هذا الدين القويم، وعن قضايا كثيرة ذكرت في هذه السورة، فالاسم الموصول له تأثير في السياق كل حسب موضعه.

المبحث الأول

الاسم الموصول في سياق التعليل

ذُكر في سورة البقرة مواضيع عدة تبين أحكام الله تعالى التي تصلح بها الحياة، فبعضها ذكر فيها قصة أو حكم أو أمر أو نهى فتكون علة لصالح المعيشة.

أولاً: مدح مؤمني أهل الكتاب لإيمانهم بما نزل على محمد ﷺ

في مفتتح سورة البقرة مدح الحق سبحانه مؤمني أهل الكتاب لأنهم آمنوا بما نزل على محمد ﷺ وسلموا أمرهم إلى الله تعالى، فقال الحق سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَأْتِيَهُمْ هُرُوفُونَ﴾ (البقرة:) وللمفسرين أقوال في الصنفين المذكورين في الآيتين الثالثة¹ والرابعة من سورة البقرة، فمن قائل: إن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ خاصة بمؤمني العرب دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب، وذلك أن العرب لم يكن لهم كتاب مثلما كان لأهل الكتابين، ومن قائل: إن الآيات الأربع الأولى من سورة البقرة نزلت في مؤمني أهل الكتاب خاصة. ومن قائل: إن الآيات الأربع الأولى من سورة البقرة نزلت في العرب والعجم وأهل الكتابين وسواهم².

يرى الطبري أن الفريق في الآيتين الأوليان غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزل على النبي ﷺ وعلى من قبله من الرسل³، فالآيتين الأولتَيْن تتحدثان عن مؤمنين بعد إشراك، والآية الرابعة من سورة البقرة تتحدث عن مؤمني أهل الكتاب⁴.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَأْتِيَهُمْ هُرُوفُونَ﴾ (البقرة:) جاء الاسم الموصول (ما) لفائدة تضيي على النص بلاغة عالية؛ فقد جاء النص بالاسم الموصول (ما) ليعم

¹ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُعِيمُونَ السُّرَّةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:).

² انظر: الطبري: جامع البيان. (237/1 - 239).

³ انظر: الطبري: جامع البيان. (240/1).

⁴ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (228/1).

الكتب كلها، وعلى رأسها القرآن الكريم، فالسياق سياق تعليل الإيمان بالكتب المنزلة من عند الحق سبحانه، فالتعبير عن القرآن الكريم بأنه أنزل على النبي ﷺ فيه بيان للسبب الموجب بالإيمان به؛ وهو أن الله تعالى أنزله إليه، وما دام كذلك فإن الإيمان به واجب، وكذا الكلام في الكتب السابقة. ولو كان التعبير: والذين يؤمنون بالقرآن والتوراة والإنجيل؛ لما كان في الكلام ذلك السبب الموجب.

إن البرهان على وجوب إيمان أهل الكتاب بالقرآن الكريم قد بات جلياً، وذلك لاشتراكهما في سبب وجوب الإيمان؛ وهو كون كل من تلك الكتب منزلاً من عند الحق سبحانه وتعالى، ولو جاء التعبير بأسماء تلك الكتب لم توجد هذه النقطة.

قال الفخر الرازي: "قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ هذا الإيمان واجب، لأنه قال في آخره: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:) فثبت أن من لم يكن له هذا الإيمان وجب أن لا يكون مفلحاً¹.

ثانياً: بشارة للمؤمنين لالتزامهم بالأعمال الصالحة

وفي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:) جاء الاسم الموصول بعد عرض لحال فريق من الكفار الذين طعنوا بصدق القرآن الكريم والرسول ﷺ، والمؤمنون قد آمنوا بالقرآن الكريم وبمحمد ﷺ فهنا صورة مقابلة بين الفريقين، فجاء الوصف مادحاً للمؤمنين، لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات يقيناً منهم بأن القرآن الكريم معجز، فأمنوا إيماناً مطمئناً لا تشوبه شائبة، فرب العزة افتتح الآية: ﴿وَبَشِّرِ﴾ وهذه البشارة تعكس مدى استحقاقهم المدح لإيمانهم بالقرآن والنبوة، فبين " ثواب المؤمنين لتسكن قلوبهم إلى ذلك وتزول عنهم الوحشة لكي يثبتوا على إيمانهم ويرغبوا في ثوابه فقال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني فرح قلوب الذين آمنوا أي صدّقوا بوحدانية الله تعالى

¹ الرازي: مفاتيح الغيب. (30/2).

وبمحمد ﷺ وبما جاء به جبريل عليه السلام¹.

ثالثاً: ذم الكفار لإنكارهم الحق

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ (البقرة:) جاء هذا المقطع من الآية من باب المقارنة بينهم وبين المؤمنين الذين يعلمون الحق من ربهم، فالحق سبحانه مدح المؤمنين بأنهم آمنوا بما جاء عن رب العالمين دون جدال، وعندما جاء الحديث عن الكفار كان السياق مختلفاً عن سياق ذكر المؤمنين، فالكفار أنكروا الحق من ربهم، ولو أنهم " قصدوا بقولهم: ماذا أراد الله بهذا مثلاً مجرد الاستفهام لدل على جهلهم بحكمة التمثيل، ولما قالوه على قصد الإنكار دل ذلك على كمال جهلهم فإن إنكار الحق الصريح أشد ضلالة من مجرد استفهامه"².

¹ السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، ت(393هـ): بحر العلوم. (3) مج. تحقيق د. محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر. (د. ط. د. ت.). (61/1).

* السمرقندي: إمام الهدى وكان له تفسير القرآن وكتاب النوازل في الفقه وخزانة الأكملة وتنبيه الغافلين وبستان العارفين، تفقه على أبي جعفر الهندواني وله من المصنفات غير ما ذكر كتاب عيون المسائل وكتاب تأسيس النظائر والمقدمة. انظر: طبقات المفسرين. (92/1).

² ابن زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، ت(951هـ): حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي. تحقيق: محمد عبد القادر شاهين. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1419هـ/1999م). (453/1). انظر: الشربيني، محمد بن أحمد: السراج المنير. (4) مج. بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ط.). (د. ت.). (40/1). أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (74/1).

* ابن زاده: قرأ على علماء عصره الروميين، ولازم ابن فضل الدين، وبرع في العلوم، ودرس في مدارس الروم، تولى القضاء ثم تركه طمعاً في كثرة رؤيته رسول الله ﷺ، له كتب عدة، منها: شرح على الوقاية في الفقه، وشرح الفرائض السراجية. انظر: البدر الطالع. (270/2).

ولا شك أن الإنكار ينبع عن كفر بالله تعالى، وهذا يدل على أن علة الإنكار هي الكفر بالله تعالى، ولذلك جاءت صلة الموصول فعلاً ماضياً، ولو كان فيهم ذرة إيمان لما صدر منهم هذا القول.

رابعاً: ذم الكفار لتكذيبهم بآيات الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:) جاءت هذه الآية من باب المقابلة بين الكفار والمؤمنين الذين اتبعوا منهج الحق سبحانه، فالمؤمنون التزموا طاعة الله تعالى، وأما الكفار فلا حظ لهم في الآخرة، وهي أول آية في ترتيب المصحف ذكرت الخلود في النار حتى تكون زاجرة وراعدة، فالكفر كان علة للعذاب الذي استحقوه.

إن الآية قد جاءت باسم موصول مختلف عن الآية التي سبقتها، وهذا يدل على بلاغة عالية حازها القرآن الكريم، ففي الآية التي سبقتها جاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:)، فالآية قد جاء فيها الاسم الموصول (من)، أما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة:) فقد جاء فيها الاسم الموصول (الذين)، وهذا له دلالة تجعل للسياق بلاغية رفيعة، فأبو حيان قد ذكر هذه المسألة فقال: "﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قسم لقوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ وهو أبلغ من قوله: (وَمَنْ لَّمْ يَتَّبِعْ هُدَايَ) وإن كان التقسيم اللفظي يقتضيه، لأن نفي الشيء يكون بوجوه، منها: عدم القابلية بخلفة أو غفلة، ومنها تعمد ترك الشيء، فأبرز القسم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في صورة ثبوتية ليكون مزيلاً للاحتمال الذي يقتضيه النفي"¹.

خامساً: أمر لبني إسرائيل بذكر النعمة عليهم

في قوله تعالى: ﴿يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُكُمْ﴾ (البقرة:) ذكرت كلمة ﴿نِعْمَتِي﴾ وهي موصوفة بالاسم الموصول ﴿الَّتِي﴾ مع أنها مفردة إلا أن ياء الإضافة الداخلة على الاسم المفرد تفيد العموم.

¹ أبو حيان: البحر المحيط. (324/1).

يقول ابن عاشور: وهذا العموم مستفاد من إضافة نعمة إلى ضمير لفظ الجلالة¹.

ويرى السبكي² أن المفرد إذا دخلت عليه الإضافة كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ (النور:) يدل على العموم³.

فكلمة ﴿نِعْمَتِي﴾ تشمل كل النعم التي أنعمها رب العالمين على بني إسرائيل، وفي آية أخرى تبين بعض النعم التي أنعمها رب العالمين عليهم، كقوله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿الْأَمْنُ إِلَى الرَّحْمَةِ الْيُسْرَىٰ وَهُوَ يُؤْتِيكَ الرِّزْقَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّخْتَصِرٌ﴾ (الأنعام: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:)، كثير من الآيات التي بينت النعم التي أنعمها رب العالمين على بني إسرائيل، فهذه النعم كانت علة للتذكر والتدبر حتى يدركوا عظمة الحق سبحانه.

يقول ابن عاشور: "﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْنَا﴾ وصف أشير به إلى وجوب شكر النعم لما يؤذن الموصول وصلته من التعليل"⁴، أي من أجل النعم التي أنعمها الحق سبحانه عليهم؛ أمرهم بذكرها لتدوم عليهم.

وصلة الموصول قد جاءت فعلاً ماضياً لتدل على أن الإنعام قد حصل وتم وعليهم أن يتعظوا ويتذكروا من فضله سبحانه جل وعلا، فرب العالمين يريد منهم أن ينتبهوا إلى حالهم وأن لا ينسوا هذه النعم العظيمة وأن لا يهملوها حتى لا يعمهم عذاب منه سبحانه⁵.

¹ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (451/1).

² الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء تقي الدين أبو الحسن السبكي ثم المصري الشافعي، مولده سنة (683هـ)، سمع من الدمياطي وطبقته ومن الشيخ يحيى بن الصواف وابن مشرف وكان صادقاً متثبتاً خيراً ديناً متواضعاً حسن السمات من أوعية العلم يدري الفقه ويقرره وعلم الحديث ويحرره والأصول ويقرئهما والعربية ويحققها. انظر: معجم المحدثين. (166/1).

³ انظر: السبكي، علي بن عبد الكافي، ت(756هـ): الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول.

(3) مج. تحقيق: جماعة من العلماء. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1404هـ). (102/2).

⁴ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (452/1).

⁵ انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (94/1).

فعبارة ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ﴾ علة للشكر ومختصة بهم لم يشاركهم بها أحد، ونفيد " اختصاص تلك النعمة بهم، وأنهم مقصودون بها، أي اذكروا نعمتي التي جعلتها خاصة لكم، لأنه أنعم عليهم نعماً كثيرة، وذكرهم بما اختصهم به منها دون ما شاركهم الغير فيه"¹.

سادساً: عدم التفرقة بين الكتب المنزلة من عند الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَقِيَ ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوهُ﴾ (البقرة:) أمر من الحق سبحانه أن يؤمنوا بالكتاب النازل من عنده سبحانه، فهو الذي أنزل الكتب السابقة فأمنوا بها، فحق عليهم أن يؤمنوا بالقرآن الكريم لأنه نزل من عنده سبحانه كما نزلت تلك الكتب.

والتعبير بالاسم الموصول ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ " دون غيره من الأسماء نحو الكتاب أو القرآن أو هذا الكتاب إيماءً إلى تعليل الأمر بالإيمان به وهو أنه منزل من الله وهم قد أوصوا بالإيمان بكل كتاب يثبت أنه منزل من الله. ولهذا أتى بالحال التي هي علة الصلة إذ جعل كونه مصدقاً لما في التوراة علامة على أنه من عند الله"².

فالحق سبحانه يذكرهم بأن القرآن الكريم نازل من عنده سبحانه فوجب الإيمان به كما وجب عليهم الإيمان بالتوراة النازلة من عنده سبحانه.

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يُلحظ فيه أنه عبّر عن التوراة بالاسم الموصول (ما) فهي مقابلة للكتب النازلة من عنده سبحانه فلا فرق بينها من حيث الإيمان بها.

¹ ابن عرفة، محمد بن محمد: تفسير ابن عرفة المالكي. تحقيق: د. حسن المناعي. (2) مج. ط (1). تونس: مركز البحوث بالكلية الزيتونية. (1986م). (274/1).

* ابن عرفة: ولد سنة (716هـ)، فقيه مالكي وإمام جامع الزيتونة وخطيبه تفقه على القاضي ابن عبد السلام الهواري وأخذ عنه الأصول، وأخذ القراءات عن محمد بن محمد بن حسن بن سلامة الأنصاري برز في الأصول والفروع والعربية والقراءات وغير ذلك، وصار المرجوع إليه في الفتوى ببلاد المغرب، توفي سنة (803هـ). انظر: الزركلي: الأعلام. (121/1).

² ابن عاشور: التحرير والتنوير. (458/1).

يقول ابن عاشور: "والمراد بما معهم كتب التوراة الأربعة وما ألحق بها من كتب الأنبياء من بني إسرائيل كالزبور، وكتاب أشعيا، وأرميا، وحزقيال، ودانيال وغيرها ولذا اختير التعبير بما معكم دون التوراة مع أنها عبر بها في مواضع غير هذا لأن في كتب الأنبياء من بعد موسى عليه السلام بشاراتٍ ببعثة محمد ﷺ أصرح مما في التوراة فكان التنبيه إليها أوقع"¹.

ومن اللافت في قوله تعالى: ﴿يَمَّا أَنْزَلْتُ﴾ أن صلة الموصول جاءت فعلاً ماضياً، وحين خطب بنو إسرائيل بالإيمان بما نزل من عنده سبحانه لم يكن قد نزل كله، وهذا جائز في اللغة أن يطلق الكلام على الجزء ويراد الكل²، كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد:) أطلق على الجزء وهو اليد وأراد الكل وهو أبو لهب، فالذي سيعذب هو أبو لهب وليس اليد فقط.

وقوله تعالى: ﴿يَمَّا أَنْزَلْتُ﴾ أراد الجزء الذي نزل قبل إتمام نزول الكتاب كله وأراد الكل.

يقول الألوسي: "أتى سبحانه بِـ ﴿يَمَّا أَنْزَلْتُ﴾ فعلاً ماضياً مع أن المراد بالمنزل جميعه لاقتضاء السياق ... والجميع لم ينزل وقت تنزل الآية لأمرين الأول: إنه تغليب لما وجد نزوله على ما لا يوجد فهو من قبيل إطلاق الجزء على الكل. والثاني: تشبيه جميع المنزل بشيء نزل في تحقق الوقوع لأن بعضه نزل وبعضه سينزل قطعاً فيصير إنزال مجموعه مشبهاً بإنزال ذلك الشيء الذي نزل فتستعار صيغة الماضي من إنزاله لإنزال المجموع"³.

سابعاً: ذم أهل الكتاب لتبديل أمر الله تعالى

في قول الحق سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة:) تحدثت هذه الآية عن حادثة وقعت مع بني

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (458/1 459).

² انظر: عباس، فضل حسن، ت(2011م): البلاغة فنونها وأفانها. (2) مج. ط (11). الأردن: دار الفرقان. (1428

هـ/2007م). (154/2).

³ الألوسي: روح المعاني. (121/1).

إسرائيل حين أُمرُوا بالدخول إلى بيت المقدس خافضي رؤوسهم وأن يقولوا حطة، لكن اليهود على عادتهم الخسيسة لم يلتزموا بهذا الأمر، فقد خالفوا رب العزة ودخلوا على أستاذهم وقالوا: حبة في شعرة. كيف لا وهم أهل التمرد على أوامر الحق سبحانه والاستخفاف بأنبيائه وقتلهم.

أورد البخاري¹ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "قال رسول الله ﷺ: قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا آلَ بَابٍ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة"².

يقول د. مصطفى البغا: "حبة في شعرة) ليس لهم غرض من هذا الكلام لأنه لا معنى له وإنما قالوه استهزاء ومخالفة"³.

لقد ورد في الآية اسم موصول ﴿الَّذِينَ﴾ وهو يدل على أن ظلمهم كان علة لاستحقاق العذاب عليهم، ويُلحَظ أن الذين بدلوا هم طائفة من بني إسرائيل في ذلك العصر حين قيل لهم ادخلوا القرية، وليس كلهم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (الأعراف: فلفظة ﴿مِنْهُمْ﴾ تدل على أن البعض قد بدّل، وليس الكل.

يقول السعدي⁴: "﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم، ولم يقل فبدلوا لأنهم لم يكونوا كلهم بدلوا"⁵.

¹ الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام، ولِد سنة (194هـ) كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا، فقال الإمام أحمد ما أخرجت خراسان مثله. انظر: البداية والنهاية. (11/24-25).

² البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المختصر. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. (6) مج. ط (3). دار ابن كثير: بيروت. (1407 هـ/1987م). (156/4).

³ البخاري: الجامع الصحيح المختصر. (3/1248).

⁴ تربى يتيمًا لكنه نشأ نشأة حسنة، وكان قد استرعى الأنظار منذ جدائته سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم، قرأ القرآن بعد وفاة والده ثم حفظه عن ظهر قلب، وأتقنه وعمره أحد عشر سنة، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء، فاجتهد وجدًا حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم. انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين. (1/152).

⁵ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط (1). مؤسسة الرسالة. (1420هـ/2000م). ص (53).

وجاءت صلة الموصول فعلاً ماضياً ليتبين أن هذا التبديل لا يصدر إلا ممن كان ظالماً،
فعبّر عن الظلم بالفعل الماضي لتظهر هذه اللفظة البلاغية.

وإعادة الاسم الموصول في الآية ذاتها ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة:) "مبالغة في تقبيح أمرهم وإشعاراً بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم بوضع
غير المأمور به موضعه أو على أنفسهم بأنهم تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها"¹
فالظلم كان علة لنزول العذاب عليهم.

يقول الألوسي: "والمعنى ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لظلمهم عذاباً مقدراً بسبب كونهم
مستمريين على الفسق"².

لكن العذاب لم ينزل عليهم جميعاً، فقد قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾
"ولم يقل "عليهم" لئلا يتوهم أن الرجز عم جميع بني إسرائيل"³. فإعادة الاسم الموصول صرف
احتمالية معنى نزول العذاب على جميع بني إسرائيل.

وقد وصفهم رب العزة بالظلم حين قال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ "لأنهم سعوا في
نقصان خيراتهم في الدنيا والدين، أو لأنهم أضروا بأنفسهم وذلك ظلم"⁴.

ثامناً: ذم أهل الكتاب لاعتدائهم في السبب

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾
(البقرة:) جاء الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ في سياق التعليل، أي أن الاعتداء كان سبباً للمسوخ،
فالاسم الموصول يبههم أسماء القوم، وصلة الموصول جاءت فعلاً ماضياً ليدل على وقوع الأمر
في الماضي، أي قد حصل وانتهى، وكذلك أن الاعتداء سبق المسوخ فكان سبباً له.

¹ الشربيني: السراج المنير. (60/1).

² الألوسي: روح المعاني. (267/1).

³ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (516/1).

⁴ الرازي: مفاتيح الغيب. (85/3).

وكلمة ﴿مَنْكُمْ﴾ تفيد أن بعضهم اعتدوا، فـ (من) للتبعيض¹، وليسوا كلهم فوق المسخ على الذين اعتدوا.

تاسعاً: ذم أهل الكتاب لتكذيبهم وقتلهم الرسل عليهم السلام

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة:) جاءت صورة عن بني إسرائيل كيف كانوا يتلقون الشريعة من رسلهم، من موسى عليه السلام انتهاء إلى سيد البشرية محمد ﷺ، فبنو إسرائيل ديدنهم واحد في تنكيلهم برسلهم سواءً بقتل من قتلوا وتكذيب من كذبوا.

ومجيء الاسم الموصول ﴿بِمَا لَا تَهْوَى﴾ يلخص أموراً كثيرة جاءت على غير هواهم، فقابلوها بالإعراض والتكذيب والقتل، فعلة الاستكبار وما تبعه؛ ناتجة عن كون ما جاءهم لا تهواه أنفسهم.

يقول ابن عاشور: "فكانت مقابلتهم لأولئك كلهم بالإعراض والاستكبار وسوء الصنيع وتلك أماره على أنهم إنما يعرضون عن الحق لأجل مخالفة الحق أهواءهم ... وإن قوماً هذا دأبهم يرثه الخلف عن السلف لجديرون بزيادة التوبيخ"².

ومجيء صلة الموصول ﴿تَهْوَى﴾ فعلاً مضارعاً تدل على تجدد هذا الفعل القبيح واستمراره.

عاشراً: ذم أهل الكتاب لكفرهم بالقرآن الكريم والرسول ﷺ

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:) يلحظ أن

¹ انظر: أبو حيان: البحر المحيط. (409/1).

² ابن عاشور: التحرير والتنوير. (592/1 593).

التعبير في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أدق في القول من "مصدق للتوراة"، فالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ جاء مصداقاً لما معهم من النصوص التوراتية التي يعرفون حقيقتها وصحتها والتي فيها نعت النبي المرتقب¹، فهي معهم، وبين أيديهم، وما زالت النصوص الصحيحة موجودة، لكنهم يخفونها عن أعين الناس؛ حتى لا تتبين الحقيقة لهم، ولو جاءت الآية "مصدق للتوراة" لما أفادت هذا المعنى ولذهبت هذه اللفظة.

ومن هذه النصوص التوراتية أن هناك نبياً أظل زمانه يستتصرون به على أعدائهم من المشركين حين يقع القتال بينهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به²، وهذا يدين يهود لعنة الله على الكافرين. كل هذا من خلال التعبير بالاسم الموصول بدل الاسم الصريح.

وفي لفظة أخرى للتعبير بالاسم الموصول؛ أنه تسجيل عليهم مدى غباوتهم، وعدم معرفة النافع من الضار، إذ كون القرآن مصداقاً لما معهم هو أمر في مصلحتهم وليس ضدها؛ لأنه مصدق للكتاب الذي بين أيديهم، والأصل لو أنهم ممن يعي أو يعقل أن يؤمن بهذا الكتاب ويتبعه، لا أن يكذب به ويجحده.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أراد بالاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ مشركي العرب³، والتعبير به يدل على التعليل، فاليهود كانوا يستفتحون، أي

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (459/1).

² انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت(774هـ): تفسير القرآن العظيم. (8) مج. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط (2). دار طيبة. (1420هـ/1999م). (325/1).

*ابن كثير: الإمام الفقيه المحدث الأوحى البارع عماد الدين البصري الشافعي، فقيه متقن ومحدث متقن ومفسر نقال له تصانيف مفيدة، يدرى الفقه ويفهم العربية والأصول ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة. انظر: معجم المحدثين. (75-74/1).

³ انظر: الثعلبي: الكشف والبيان. (234/1).

"يستتصرون"¹ على مشركي العرب بحجة أن اليهود هم أهل كذاب، وأن المشركين لا كتاب لهم، فعَيَّرُوهم من هذه الحيثية؛ وهي أنهم كفروا، وهو ما عبرت الآية عنه بالاسم الموصول.

وصلة الموصول جاءت فعلاً ماضياً، لأن الكفر كان في السابق فلما حضر الموعود وظهر النبي ﷺ آمن بعضهم فلم يعودوا كفاراً.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ جاء الاسم الموصول (ما) عاماً يشمل القرآن والرسول ﷺ دون ذكر تفاصيل النعوت المذكورة في كتبهم لأنها معروفة فلا وجه لذكرها في هذا السياق.

ومجيء صلة الموصول ﴿عَرَفُوا﴾ فعلاً ماضياً يدل على معرفتهم بنعوت النبي المرتقب وزمن بعثته قبل مجيئه.

يقول ابن عاشور²: "وقد عدل عن أن يقال فلما جاءهم الكتاب ليكون اللفظ أشمل فيشمل الكتاب والرسول الذي جاء به فإنه لا يجيء كتاب إلا مع رسول. ووقع التعبير بـ (ما) الموصولة دون (من) لأجل هذا الشمول ولأن الإبهام يناسبه الموصول الذي هو أعم فإن الحق أن ما تجيء لما هو أعم من العاقل"².

أحد عشر: قول أهل الكتاب إن الدار الآخرة خالصة لهم وعدم تمنّيهم الموت

في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:)، (ما) في الآية على وجهين: مصدرية، وموصولة، وهي الظاهر³، فالحديث عن الموصول، وهو هنا يدل على التعليل، فعلة عدم تمنّيهم الموت هو ما قدمته أيديهم، وهو يوجز المعاصي صغيرها وكبيرها كعبادة العجل وقتل الأنبياء وغيرها من الفواحش على مر زمانهم، فمن زعم أن الجنة

¹ انظر: الثعلبي: الكشف والبيان. (234/1).

² ابن عاشور: التحرير والتنوير. (601/1 602).

³ انظر: أبو حيان: البحر المحيط. (480/1).

له وحده دون غيره فليسرع إلى ما يقرب إليها ألا وهو الموت، وهذا التمني لن يقدموا عليه خوفاً منه، وهذا ذم لهم لافتراءهم على الله تعالى.

يقول الفخر الرازي: "وأما قوله تعالى: ﴿يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ فبيان للعلة التي لها لا يتمنون (الموت) لأنهم إذا علموا سوء طريقته وكثرة ذنوبهم دعاهم ذلك إلى أن لا يتمنوا الموت"¹.

ثاني عشر: ذم أهل الكتاب لقولهم البهتان

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:) تصريح من أهل الكتاب بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان على دينهم، فهم يخرجون المسلمين من قولهم، وهم قد قالوا هذا القول دون دليل يثبت زعمهم، فزعمهم هذا يُبين أن العلة في دخول الجنة هو كون هذا الداخل يهودياً أو نصرانياً.

يُلحظ في قولهم: ﴿مَنْ كَانَ﴾ أن هاتين الكلمتين مفردتان كل على حدة²، أي أن كل فرد يهودي أو نصراني هو فقط سيدخل الجنة، فالاسم المفرد الدال على الجمع يعم كل فرد دون استثناء.

إن الحق سبحانه قد أمرهم بأن يتمنوا الموت ليثبتوا صدق دعواهم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ آدَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:)، فمن ادعى أن الجنة خاصة به فحريٌّ به أن يكون مشتاقاً لها، ولا سبيل لذلك إلا بالموت لتقريب الأمنية، لكن قولهم كذب محض.

¹ الرازي: مفاتيح الغيب. (175/3). انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (616/1).

² انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (673/1).

ثالث عشر: مدح مؤمني أهل الكتاب الذين تلووا كتبهم حق التلاوة

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَافِرُونَ﴾ (البقرة:)، هذه الآية لها ارتباط بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَوَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة:) في هذه الآية جاء النص ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ فليس كل من يتلو يفهم ويدرك ما يتلو، فالنص المراد فهمه يجب أن يُتَدَبَّرَ فيه حتى يوصل إلى حق تلاوته، ومن لم يفعل ذلك فهو مجرد تالٍ لنص لا يدرك مغزاه.

وكذلك الآية: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ (البقرة:) فإن لها ارتباطاً بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:) وقد وصفت الآية هؤلاء بأنهم على هدى من ربهم وأنهم مفلحون لأنهم تلووا كتبهم حق التلاوة، فعرفوا أن نبياً سيأتي في هذا الزمان، وله أوصاف مثبتة في كتبهم، فلما أدركوها آمنوا إيماناً راسخاً فنالوا شرف الدنيا والآخرة.

فمجيء الاسم الموصول في بداية الآية: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ (البقرة:) يدل على أن هناك من أهل الكتاب من يتلو الكتاب حق التلاوة فأمنوا بمحمد ﷺ بمعرفتهم به من خلال كتبهم.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ جملة هي خبر المبتدأ وهو اسم الموصول، وجيء باسم الإشارة في تعريفهم دون الضمير وغيره للتنبيه على أن الأوصاف المتقدمة التي استحضروا بواسطتها حتى أشير إليهم باتصافهم بها هي الموجبة لجدارتهم بالحكم المسند لاسم الإشارة على حد ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (البقرة:) فلا شك أن تلاوتهم الكتاب حق تلاوته تثبت لهم أَوْحِدِيَّتَهُم بِالْإِيمَانِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ لأن إيمان غيرهم به كالعدم¹. فَعَلَّةَ نِيلِهِمْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ الْعَظِيمَةُ إنما كانت لاتباعهم الحق وتركهم الباطل.

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (696/1 - 697).

وقد ذكر الخازن أن الذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: 1) هم أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب، وقيل: هم المؤمنون عامة، وقيل: مؤمنو أهل الكتاب، وقيل: هم أصحاب رسول الله ﷺ¹.

لكن الناظر في الآيات التي جاءت قبلها وبعدها يتحدث عن بني إسرائيل، ولم تأت بشيء عن غيرهم²، فكثير من الصحابة آمنوا بمحمد ﷺ بمجرد تصديقهم به قبل سماع شيء من القرآن أو تلاوته.

ومن الملاحظ أن صلة الموصول ﴿آتَيْنَاهُمُ﴾ جاءت فعلاً ماضياً، وهذا يدل على شيء مضى، والقرآن ما زال يتنزل في زمن نبيه ﷺ، فكان الخطاب يرمي إليهم. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يُلحظ فيه أن السياق لم يأت معطوفاً "تنبيهاً على كمال التباين بين الفريقين"³ من أهل الكتاب مؤمنهم وكافرهم بنبوّة محمد ﷺ.

رابع عشر: القبلة نحو الكعبة فُرِضَتْ من عند الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَمِّنَ نَعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 1) يُلحظ أن هذه الآية قد جاءت في معرض آيات تحدثت عن أهل الكتاب، فقوله تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ" من أهل الكتاب، فإن لهم عليكم حجة واهية⁴.

¹ انظر: الخازن: لباب التأويل. (102/1).

² انظر: الطبري: جامع البيان. (565/2).

³ الألوسي: روح المعاني. (372/1).

⁴ الثعلبي: الكشف والبيان. (17/2).

وقد ذكر الخازن أن الذين ظلموا هم اليهود، فهم قد " عرفوا أن الكعبة قبله إبراهيم ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحو إليها فتكون حجتهم أنهم يقولون إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إلى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الكعبة ذهبت حجتهم"¹.

يفهم من كلام الخازن أن صلة الموصول ﴿ظَلَمُوا﴾ لما عبّر عنها بالماضي يدل على معرفتهم أنه نبي حق وسوف يتحول إلى الكعبة، وفوق ذلك لم يؤمنوا به، فهذا بحد ذاته ظلم عظيم، وكلمة ﴿مِنْهُمْ﴾ تدل على أن بعضهم كان يعرف هذه المعلومة من التوراة وليس كل اليهود كانوا يعرفونها.

لكن قد سبق قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ لفظة (الناس) في الآية ذاتها في قوله تعالى: ﴿لَيْتَ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فالمراد " بالناس العموم في اليهود والعرب وغيرهم"²، فيكون ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لأهل الكتاب والعرب وغيرهم لأنهم تحدثوا وطعنوا في دين محمد ﷺ.

والخلاصة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أن علة الوصية بعدم خشيتهم هي ظلمهم، وهذه الآية تشمل كفار أهل الكتاب وكفار قريش الذين خاضوا في تحويل الكعبة وطعنوا في هذا الدين العظيم، فهم يظنون أن لديهم حجة وليس كذلك.

¹ الخازن: لباب التأويل. ص(124/1).

² الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، ت(876هـ): الجواهر الحسان في تفسير القرآن. (4) مج. بيروت:

مؤسسة الأعلمي. (د. ط.). (د. ت.). (118/1).

*الثعالبي: أخذ عن البرزلي وحج وأخذ عن الولي العراقي، وكان إماماً علامة مصنفاً اختصر تفسير ابن عطية في

جزئين. انظر: طبقات المفسرين. (342/1).

خامس عشر: ذم الذين أوتوا الكتاب لكتمانهم الحق

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ (البقرة:) كشف لما يخفيه أهل الكتاب من أحكام وتشريعات في كتبهم المقدسة، ففي إظهارها انقلاب على أطماعهم وملذاتهم الدنيئة، فيصرون على الكتمان حتى يتمادوا أكثر فأكثر في شهواتهم، ويلحظ أن صلة الموصول ﴿يَكْتُمُونَ﴾ جاءت فعلاً مضارعاً لتفيد أن الكتمان ما زال حاصلاً لم ينقطع حتى الساعة¹، وصلة الموصول ﴿أَنزَلْنَا﴾ فعل ماضٍ لأنه نزل وانتهت عملية النزول، فهو قد صار بين أيديهم، والكتمان هو الذي يتجدد بعد النزول، والاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ يفيد العموم، لأن الكاتمين ليسوا في عصر واحد بل على مر الزمان يتوارثون هذه الخصلة الخسيسة، والاسم الموصول ﴿مَا﴾ أيضاً يفيد عموم الأحكام، لأنهم لم يكتموا أمراً وأظهروا البقية؛ بل أخفوا أموراً كثيرة أوجزها الاسم الموصول ﴿مَا﴾، فاستحقوا اللعنة، ويلحظ أن الاسمين الموصولين وردا في سياق تعليل اللعنة التي استحقوها، أي أن سبب لعنتهم هو كتمانهم الحق.

سادس عشر: نقل حديث الوصية دون تبديل

في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِي يَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:) تبيان لحال الموصي عند تقرير الوصية أنه إذا تبدلت الوصية ولم يظهرها من سمعها على حقيقتها فالإثم على الذي بدل وليس على الموصي.

إن علة الإثم هي التبديل، فالذين سمعوا الوصية مأمورون بأدائها على حقها، فإذا بدلوها كانوا آثمين.

يقول ابن عاشور: "وإنما انتفى الإثم عن الموصي لأنه استبرأ لنفسه حين أوصى بالمعروف فلا وزر عليه في مخالفة الناس بعده لما أوصى به إذ ﴿الْأَنزِلُ وَالرِّزَّةُ وَزَرَأُخْرَى﴾ (٢٨) وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: 38 - 39)." .

¹ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (66/2).

والمقصود من هذا القصر إبطال تعلل بعض الناس بترك الوصية بعلّة خيفة أن لا ينفذها الموكول إليهم تنفيذها، أي فعليكم بالإيصاء ووجوب التنفيذ متعين على ناظر الوصية فإن بدله فعلية إثم، وقد دل قوله: ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ أي هذا التبديل يمنعه الشرع ويضرب ولاه الأمور على يد من يحاول هذا التبديل؛ لأن الإثم لا يقرر شرعاً¹.

والتعبير بالفعل المضارع لصلة الموصول ﴿يُبَدِّلُونَهُ﴾ أدق من التعبير بالفعل الماضي (بدلوه) لأن التبديل إن حدث فهو بعد الوصية².

ومن الملاحظ أن الاسم الموصول وصلته للجمع، وبداية الآية ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ للمفرد، وطالما أن الآية ابتدأت بالمفرد فتنتهي بالمفرد ليكون السياق موحداً، لكن جاء الاسم الموصول وصلته بصيغة الجمع "للاشعار بتعداد المبدلين أنواعاً أو كثرتهم أفراداً والإيدان بشمول الإثم لجميع الأفراد"³.

سابع عشر: ذم الكفار لسخريتهم من المؤمنين

وفي قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْرَحُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوَقَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة:) ذم للكفار الذين زُيِّنَتْ لهم الحياة الدنيا فظنوا أنها ستعينهم فسخروا من الذين آمنوا غروراً واستعلاءً.

يقول ابن عاشور: "المراد من قوله: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ذمهم والتحذير من خلقهم"⁴.

والكفر كان علة للتزيين، فالحق سبحانه جعل الدنيا مزيّنة لهم تصدهم عن ذكره سبحانه، لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (152/2).

² انظر: أبو حيان: البحر المحيط. (26/2).

³ أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (197/1). انظر الآلوسي: روح المعاني. (55/2).

⁴ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (295/2).

وصلة الموصول قد جاءت فعلاً ماضياً ﴿كَفَرُوا﴾، والحكمة من ذلك أن كفرهم ليس كفراً حديثاً ناشئاً؛ بل هو كفر موجود في نفوسهم ووجدانهم.

ثامن عشر: تضحية المؤمنين وهجرتهم وجهادهم رجاء رحمة الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:) "أتى الله تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ أحسن الثناء¹ بهذه الآية، سلموا أنفسهم لأمر الحق سبحانه ففازوا برضوانه سبحانه جل علاه، ومجيء الاسم الموصول يجعل الحكم عاماً يشمل كل من أطاع الحق سبحانه، ومجيء صلة الموصول فعلاً ماضياً يدل على أن سبق الإيمان والهجرة قبل نيل الرضوان من الله تعالى أمر حتمي لا بد منه.

وحرف الجر في قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاء للتعليل².

وفي تكرار الاسم الموصول دلالة بلاغية، فالإيمان هو السبب الأعظم والركن الأهم في نيل رحمة الله تعالى، فهو الأساس الذي يتفرع عنه بقية الأسباب.

ولما كانت الهجرة والجهاد من أعظم فروع الإيمان؛ أبرز الله تعالى منزلتهما بجعلهما فرداً مستقلاً؛ وذلك بإعادة الاسم الموصول، تنبيهاً على منزلتهما وفضلهما.

يقول ابن عاشور: "وكرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء"³.

ثم يتبع ابن عاشور قائلاً: "فتأكد بذلك ما يدل عليه الموصول من الإيماء إلى وجه بناء الخبر"⁴ وهذا يعطي دلالة على أن الاسم الموصول قد جُعِلَ مبتدأ ثم بني عليه الخبر، وفي ذلك من

¹ الخازن: لباب التأويل. (207/1).

² انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (337/2).

³ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (337/2).

⁴ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (338/2).

التأكيد والفخامة والحصر والقصر ما لا يخفى، فهم من آمن، وهم من هاجر وجاهد في سبيل الله تعالى، ورجوا رحمة الله تعالى، فاستحقوا الفوز في الدنيا والآخرة.

تاسع عشر: تضحية المؤمنين وعملهم الصالحات وإقامتهم الصلاة وإيتائهم الزكاة

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:) بعد عرض موضوع الربا، وبيان بشاعة هذه التعاملات الربوية واستغلال المرابين لأموال الناس حتى يدور المال بين أناس محددين، جاءت هذه الآية للمقابلة بين الفريقين¹: فريق المرابين، وفريق المؤمنين الذين انتهوا عن الربا؛ فعلة نيل المؤمنين الأجر هي كونهم آمنوا، وعملوا الصالحات، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فكان واعظاً لهم عن الوقوع في جريمة الربا.

يقول ابن كثير: "قال تعالى مادحاً المؤمنين بربهم، المطيعين أمره، المؤدين شكره، المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، مخبراً عما أعد لهم من الكرامة، وأنهم يوم القيامة من التبعات آمنون، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾"² فبطاعتهم نالوا الثناء من رب العالمين ففازوا بالأجر والأمن من الخوف والحزن، فهم لم ينتهوا عن الربا إلا لأنهم مؤمنين، فجاءت الصلة فعلاً ماضياً ليدل على أسبقية الإيمان فهو الدافع للانتهاك عن زواج الحق سبحانه.

¹ انظر: أبو حيان: البحر المحيط. (350/2).

² ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (716/1).

المبحث الثاني

الاسم الموصول في سياق المدح

القرآن الكريم دستور للتقلين أجمعين، نزل ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، فالناس بتلقيهم هذا الدستور متفاوتون بين مصدق ومكذب، فمن أخذ من هذا النبع العظيم نال الشرف والرفعة من الحق سبحانه بمجرد اتباعه وتصديقه، كيف لا وقد خلع حب الدنيا وزينتها وجعلها طريقاً إلى الجنة التي وُعد المتقون.

ورد في بعض آيات سورة البقرة صنفان من المؤمنين الذين آمنوا بهذا الدستور الرباني حباً لله تعالى ورسوله ﷺ، وهما: المؤمنون الذين كانوا قبل إيمانهم مشركين، والمؤمنون من أهل الكتاب بنبوّة محمد ﷺ، وهما عند الحق سبحانه أصحاب منزلة عظيمة لخضوعهم تحت لوائه جل علاه.

وقُسم هذا المبحث إلى مطلبين، الأول: الاسم الموصول في سياق مدح المؤمنين. والثاني: الاسم الموصول في سياق مدح مؤمني أهل الكتاب.

المطلب الأول: الاسم الموصول في سياق مدح المؤمنين

أولاً: مدح المؤمنين لإيمانهم بالغيب وتطبيقهم لشرع الله تعالى

في مفتتح سورة البقرة وصف الحق سبحانه كتابه العظيم بأنه هدى للمتقين، ثم مدح الذين يحملون هذا الهدى لإيمانهم بالغيب، ففي قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: 3)، وصف للمؤمنين الذين آمنوا بالغيب وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقهم الله تعالى امتثالاً لأمره سبحانه.

يرى ابن جرير الطبري أن الذين وصفهم الحق سبحانه بالإيمان بالغيب هم المؤمنون بعد إشرارك، وليس المقصود أهل الكتاب¹. وهو الأقرب للصواب؛ لأنه عندما عرض القرآن

¹ انظر: الطبري: جامع البيان. (240/1).

الكريم هذين الصنفين من المؤمنين - المؤمنون بعد إشراك ومؤمنو أهل الكتاب - عرضهم عرضاً متتابعاً معطوفاً بحرف الواو ليدل على أنهما فريقان يحملان صفات المتقين ذاتها، فمجيء حرف الواو بين الآية الثالثة والرابعة من سورة البقرة جعلهم في خندق واحد، فلو حُذِفَت الواو لتوهم السامع أن مؤمني أهل الكتاب لا علاقة لهم بمؤمني العرب بعد إشراك، " فالمغايرة بين الفريقين هنا بالعموم والخصوص، ولما كان قصد تخصيصهم بالذكر يستلزم عطفهم وكان العطف بدون تنبيه على أنهم فريق آخر يوهم أن القرآن لا يهدي إلا الذين آمنوا بما أنزل من قبل لأن هذه خاتمة الصفات فهي مرادة فيظن أن الذين آمنوا عن شرك لا حظ لهم من هذا الثناء، وكيف وفيهم من خيرة المؤمنين من الصحابة وهم أشد اتقاءً واهتداءً إذ لم يكونوا أهل ترقب لبعثة رسول من قبل فاهتدواهم نشأ عن توفيق رباني، دُفع هذا الإيهام بإعادة الموصول ليؤذن بأن هؤلاء فريق آخر غير الفريق الذي أجريت عليهم الصفات الثلاث الأول، وبذلك تبين أن المراد بأهل الصفات الثلاث الأول هم الذين آمنوا بعد شرك لوجود المقابلة"¹.

إن موضوع الفصل والوصل عند علماء البلاغة موضوع ذو أهمية كبيرة، لما يعطيه من جمال النسق في الجمل، حتى قيل: حد البلاغة معرفة الفصل والوصل. فمعرفة مواطن الفصل والوصل ينم عن قراحة وذوق بلغة العرب.

قال عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يُصنَعَ في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تُستأنَفُ واحدةً منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعرابُ الخُلَصُ والأقوام الذين طُبِعُوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام، هم بها أفرادٌ وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدّاً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سُئِلَ عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل. ذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكْمَلُ لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كَمَلَ لسائر معاني البلاغة"².

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (237/1 - 238).

² الجرجاني: دلائل الإعجاز. ص(174).

وفي سياق إعادة الاسم الموصول (الذين)¹ وربطه بحرف الواو؛ يعطي دلالة على أنه لا فرق بين المؤمنين إلا بالتقوى، بغض النظر عن من آمن بعد شرك أم كان من أهل الكتاب، وهذا ما أصله الحق سبحانه في كتابه فقال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

لكن هذه الواو لا تصلح أن تكون قبل الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٣) لأنها تشعر بسياق جديد تفصله عما قبله، فبدونها يظل السياق متصلاً، "فلذلك ترى علماء المعاني يعدون اتصال الكلام المستأنف بما قبله من قبيل كمال الاتصال المانع من العطف"².

ولا غرو أن تأتي صلة الموصول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة:) فعلاً مضارعاً، فهذه الآية تتحدث عن طائفة لما سمعت بالقرآن الكريم آمنت إيماناً راسخاً وآثروه على مصالحهم الدنيوية، وهذا الانتقال بحد ذاته فعل عظيم عند الحق سبحانه، فقد جعلهم الحق سبحانه بمنزلة الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين، فهذه الطائفة لما آمنت بعد شرك صارت مؤمنة من تلك اللحظة وما بعدها، فناسب أن تأتي صلة الموصول فعلاً مضارعاً.

أما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة:) فقد جاءت صلة الموصول فعلاً ماضياً لأن هذه الطائفة قد مر عليها زمن وهي مؤمنة بالكتاب وبالذي أنزله، فالمؤمن لا يصل إلى مرتبة الولاية إلا إذا ضحى بالغالي والنفيس في سبيل الله تعالى، فناسب أن تكون صلة الموصول فعلاً ماضياً.

¹ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْآخِرَةُ مِنْهُمْ يَوْمُونَ﴾ (البقرة:).

² شيخ زاده: حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي. (166/1).

ثانياً: مدح المؤمنين ليقينهم بقاء الحق سبحانه ورجوعهم إليه

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة:) جاء الاسم الموصول في سياق مدح للخاصين الممتثلين لأمر الحق سبحانه¹، فالآية قد افتتحت بالاسم الموصول ليدل على حصر هذه الصفة للخاصين وعلى علو منزلتهم، " وقد وصف تعالى الخاصين بأنهم الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون وهي صلة لها مزيد اتصال بمعنى الخشوع"².

ثالثاً: مدح المؤمنين لإيمانهم بالله واليوم الآخر

في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ (البقرة:)، جاء الحديث عن البر الذي يوجه المؤمن إلى الوجهة الصحيحة، فالمؤمن البرُّ عليه أن يؤمن بالله واليوم الآخر والأمر التي ذكرتها الآية، فمن آمن إيماناً متيناً كان برّاً، وهي أعلى من المؤمن البار.

يقول الشعراوي: "إن الحق يجسد المعنى وهو البر في ذات العبد الذي آمن لأنه سبحانه حينما يريد أن يؤكد معنى من المعاني يجعل الذات مجسدة فيه. فعندما نقول على سبيل المثال والله المثل الأعلى: « فلان عادل » أي نحن نصفه بما يحقق للسامع أنه رجل يُعرف بالعدل. ولكن عندما نقول: « فلان عدل » فكأنه هو العدل ذاته، وكذلك عندما نقول: « فلان صادق » فمعنى ذلك أنه صاحب ذات اتصفت بالصدق، ومن الممكن للذات أن تنفصل عن الصدق يوماً ولكن حين نقول: « فلان صدق » فمعنى ذلك أن الصدق قد امتزج به فلا ينحل عنه أبداً أو أن الحق يريد أن يقول لنا: لكن صاحب البر هو من آمن بالله، أو يقول: « ولكن البر هو بر من

¹ انظر: أبو حيان: البحر المحيط. (341/1).

² ابن عاشور: التحرير والتنوير. (480/1).

آمن بالله» أو أن الإخبار بالذات ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ عن الصفة ﴿الْبِرَّ﴾ دليل على امتزاج الذات في الصفة امتزاجاً لا تتخلّى عنه أبداً فكأن البر قد تجسد فيهم¹.

والاسم الموصول (من) في قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ جاء عاماً بعموم الآية على المسلمين

كلهم، فكل من آمن بما ذكر في الآية الكريمة دخل في مضمون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، ومجيء الصلة فعلاً ماضياً يدل على أولية الإيمان حتى يكون برّاً، فمن أراد مرتبة البر؛ عليه أن يؤمن بما ذكر في الآية فينال شرف الدنيا والآخرة.

رابعاً: مدح المؤمنين لبيع أنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة:)، وردت كلمة "شرى" في كتب اللغة بمعنى باع، "قالوا: شريت: إذا بعت. قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (يوسف:)"².

جاءت هذه الآية في معرض مقابلة بين المفسد الذي يهلك الحرث والنسل والذي يبيع نفسه ابتغاء مرضات الله تعالى، فهذه الآية مدحت الذين يبيعون أنفسهم من أجل نيل مرضات الحق سبحانه وما أعظمها من تجارة، فقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى﴾ "أي يبيع نفسه أي يبذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يُقتل ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾"³.

¹ الشعراوي: تفسير الشعراوي. (440/1).

² ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. (266/3).

³ الشربيني: السراج المنير. (116/1).

وجاء الاسم الموصول عاماً دون تخصيص فرد من المسلمين حتى يعم الجزاء لكل من سلك هذا السبيل، فكل عصر يكون فيه أناس يبيعون أنفسهم حتى ينالوا رضا الله تعالى، فهؤلاء "هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلباً لمرضاة الله ورجاء لنوابه"¹.

وجاءت صلة الموصول ﴿يَشْرِي﴾ فعلاً مضارعاً الذي يفيد التجدد حتى يعم الجزاء على كل من سلك هذا السبيل.

خامساً: مدح المؤمنين لثباتهم على دين الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 213) بينت هذه الآية أن الناس عندما كانوا أمة واحدة وقع بينهم الخلاف فكل منهم صار يلوح بدينه على هواه، فانحرفت نفوسهم عن جادة الصواب وصار لكل منهم شرعة ومنهاجاً، فاليهود تصلي إلى جهة المغرب والنصارى إلى جهة المشرق، واختلفوا في الصيام، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام فقالت اليهود: إنه يهودي، وقالت النصارى: إنه نصراني، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه أهل الكتاب فتمت النعمة على المؤمنين².

وفي مجيء صلة الموصول فعلاً ماضياً ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدل على دقة في التعبير، فالله تعالى يهدي المؤمنين لدينه، فهم أولاً آمنوا بالله تعالى حباً وتعظيماً له جل علاه، فهداهم الله تعالى إلى سبيل الهدى بعد أن آمنوا طواعية، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ (التغابن:)، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل: 5-7) فطلبُ التقوى كان نابعاً من قلب المؤمن، فيسرَّ الله تعالى له سبيل الهداية.

¹ السعدي: تيسير الكريم الرحمن. ص(94).

² انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (570/1). الخازن: لباب التأويل. (202/1). الشربيني: السراج المنير.

سادساً: مدح المؤمنين لاتعاضهم بحكم الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:)، أورد البخاري في صحيحه سبب نزول الآية " أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ طَلَّقَهَا زَوْجَهَا فَتَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَخَطَبَهَا فَأَبَىٰ مَعْقِلٌ فَنَزَلَتْ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ (البقرة:)¹ فلما نزلت هذه الآية تراجع معقل عن منعه تزويج أخته، فبالترامه هذا استحق المدح، وكذلك كل من التزم أمر الحق سبحانه، كيف لا ورب العزة يقول: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة:) فلأنه يخشى الله تعالى ويؤمن بيوم الحساب صار هذا الأمر عظة له، وفي الآية ضمائر للجمع، ﴿مِنْكُمْ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ ﴿لَكُمْ﴾ فالآية جاءت خطاباً " لجميع المكلفين " ² على مر الزمان، وليست حصراً لفرد معين.

سابعاً: مدح المؤمنين لإنفاقهم أموالهم في سبيل الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة:) جاءت هذه الآية في معرض الأمر بالقتال في سبيل الله وبذل الأموال والأنفس من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، فالله تعالى قد " أثنى على من بذل شيئاً من ماله في طاعة الله " ³ كيف لا والقتال في سبيل الله يرد هيبة المسلمين إلى قمتها، ويجعلهم أجراء على سائر الأمم.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (18) مج. ط (1). دار طوق النجاة. (1422هـ). رقم الحديث (4529). (29/6).

² أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (229/1).

³ أبو حيان: البحر المحیط. ص (261/2).

وجاءت صلة الموصول فعلاً مضارعاً حتى يبقى الحث على الإنفاق في سبيل الله إلى يوم القيامة.

ثامناً: تشجيع المؤمنين الذين أنفقوا أموالهم ابتغاء مرضاة الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَعْتُمْ بَرُوقَ أَصَابِهَا وَإِبِلٌ فَتَانَتْ أَكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ¹ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:) فهذه الآية جاءت بعد ذكر من ينفق مناً وأذى لـيتبين التضاد بين الفريقين، وهذا من فصاحة القرآن الكريم¹.

وصلة الموصول أتت فعلاً مضارعاً حتى يعم كل زمان ومكان، والآية قد أبهت وجوه الإنفاق حتى يتسنى للمنفق أن يتصدق في أي وجه يكون فيها قد سد ثغرة ضاقت على المسلمين، فهم " ينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده"².

تاسعاً: مدح المؤمنين لنيلهم الحكمة من الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ³ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:) تعددت أقوال المفسرين في تفسير الحكمة في هذه الآية، فمن قائل: إن الحكمة هي النبوة، ومن قائل: إنها العلم والفقه والقرآن، ومن قائل: إنها خشية الله، ومن قائل: إنها معرفة الناسخ والمنسوخ والحلال والحرام ومقدمه ومؤخره ومحكمه ومتشابهه³.

¹ انظر: الثعالبي: الجواهر الحسان. (213/1). ابن عاشور: التحرير والتنوير. (50/3).

² الخازن: لباب التأويل. (286/1).

³ انظر: الثعالبي: الكشف والبيان. (271/2). ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (700/1).

وقد أورد الطبري معانيَ عدةً لكلمة ﴿الْحِكْمَةُ﴾ مثل: الإصابة والقرآن والفقه به، والعلم بالدين، والفهم، والخشية، والنبوة، ثم رجَّح معنى الإصابة في القول والفعل فقال: " وإذا كان ذلك كذلك معناه؛ كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلاً فيما قلنا من ذلك، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة. وإذا كان ذلك كذلك؛ كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره مفهوماً خاشياً لله فقيهاً عالماً.

وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مسددون مفهمون، وموفقون لإصابة الصواب في بعض الأمور، و(النبوة) بعض معاني ﴿الْحِكْمَةُ﴾¹.

وفي إبهام الذي يؤتى الحكمة مغزى عظيم؛ فالحق سبحانه علَّق إيتاء الحكمة لمن أراد، وليس لكل الخلق، فليس الكل يقدر على حمل هذه الحكمة وأدائها، فالناس متفاوتون في قدراتهم وأفهامهم، ولهذا كانت الحكمة لأناس اختارهم الحق سبحانه بعلمه الأزلي فأدوها على حقها.

وجاءت صلة الموصول فعلاً مضارعاً وليس فعلاً ماضياً، ولو كانت فعلاً ماضياً لفُهم من سياق الآية أن المقصود أناس نالوا الحكمة ولم يأت أحد بعدهم فينال تلك الحكمة، لكن مجيء الصلة فعلاً مضارعاً جعلها عامة إلى يوم القيامة، وهذا يدفع القول الذي قصر الحكمة على النبوة فقط؛ بل هي أوسع من ذلك فهي تشمل النبوة التي انتهت بموت نبي الأمة ﷺ وغيرها من الخير الكثير.

المطلب الثاني: الاسم الموصول في سياق مدح مؤمني أهل الكتاب

أولاً: مدح مؤمني أهل الكتاب لإيمانهم بالله واليوم الآخر وعملهم الصالحات

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:) جاءت هذه الآية بعد حديث بين موسى عليه السلام وبين بني إسرائيل في أمور العبادة والعقيدة وغيرها، فخالفوا

¹ الطبري: جامع البيان. (579/5).

نعمة الحق سبحانه لهم، فجاءت هذه الآية بذكر المؤمنين واليهود والنصارى الذين التزموا أمر الحق سبحانه ولم يحدوا عنه بأن آمنوا إيماناً صادقاً وعملوا صالحاً؛ فكان الجزاء بأن رضي الله تعالى عنهم، فالسياق سياق مقابلة بين المطيعين لأمر الحق سبحانه وبين المتمردين والمتملقين لأمره جل علاه.

إن الآية قد ابتدأت بذكر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، والمفسرون قد ذكروا أقوالاً عدة في تفسير ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فمن قائل: إن المؤمنين هنا هم المؤمنون باللسان، أي المنافقون.

يقول أبو السعود: "﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة. والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبر عنها بالإيمان لا تجديهم نفعاً أصلاً ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعاً"¹.

فالتعبير بالاسم الموصول مع الفعل الماضي؛ جاء كذلك ليدل على عدم تمكن الإيمان في قلوبهم، وأنه إيمان ظاهري باللسان فقط، ولو كان التعبير (إن المؤمنين) لما أفاد هذا المعنى.

ومن قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم المؤمنون حقاً بالنبي ﷺ، فيكون التعبير حين إذن بالاسم الموصول إشارة إلى العلة التي استحقوا بها الجزاء المذكور وهو كونهم آمنوا.

ومن قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم المؤمنون بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بالنبي ﷺ³ فيكون التعبير بالاسم الموصول مع الفعل الماضي على ظاهره، ولو قيل (إن المؤمنين) لما تحققت هذه الغاية.

¹ أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (108/1).

² انظر: الثعالبي: الجواهر الحسان. (72/1).

³ انظر الواحدي: علي بن أحمد بن محمد، ت(468هـ): الوسيط في تفسير القرآن المجيد. (4) مج. تحقيق: علي محمد معوض وآخرين. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـ/1994م). (149/1).

*الواحدي: كان فقيهاً إماماً في النحو واللغة وغيرهما أما التفسير فهو إمام عصره أخذ التفسير عن أبي إسحاق الثعلبي واللغة عن أبي الفضل العروضي، والنحو عن أبي الحسن القهндري الضرير. انظر: طبقات الشافعية. (1/256-257).

وأما التعبير بالاسم الموصول في ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ فالإشارة إلى العلة في الحكم وهو كونهم يهودوا، وأما عدم التعبير بالاسم الموصول في النصارى فإنه يظهر باستقراء القرآن الكريم عدم ورود (الذين نصروا) البتة، ولعل الحكمة في ذلك كون (النصارى) علماً على هذه الفئة، ولو (الذين نصروا) لشمّل كل من نصر، وأما عدم التعبير بالاسم الموصول للصائبين؛ فالكلام فيه كالكلام في النصارى.

وإعادة الاسم الموصول وقرنه مع ﴿هَادُوا﴾ يدل على أنهم ليسوا المؤمنين المذكورين في مفتتح الآية، فلو حذف الاسم الموصول الثاني المقترن بـ ﴿هَادُوا﴾ لصار المعنى أن المؤمنين الذين ذكروا في أول الآية هم أنفسهم الذين يهودوا وتتصروا وصبؤوا والمراد غير ذلك.

وقد جاء ذكر المؤمنين في بداية الآية فتقدموا على الذين هادوا والنصارى والصائبين وذلك "للاهتمام بشأنهم ليكونوا في مقدمة ذكر الفاضلين فلا يُذكر أهل الخير إلا ويذكرون معهم"¹، وليس أفضل من إيمان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ثانياً: مدح مؤمني أهل الكتاب لإيمانهم بالكتب السماوية

في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:) تحدثت هذه الآية عن عداوة أكنها اليهود في قلوبهم تجاه جبريل عليه السلام، وهي عداوة لا تنفك عن عداوتهم لنبي الأمة محمد ﷺ، كيف لا وهم لم يقبلوا هذه الرسالة الربانية التي جاء بها جبريل عليه السلام، فهو الذي بشر محمدًا ﷺ بها، فزادت عداوتهم له فوق عداوة مخزونة في قلوبهم.

يقول شيخ زاده: "من عاداه فله وجه وسبب عنده، لأنه نزل القرآن مصدقاً لكتابه، فكان برهاناً على نبوته ... فكيف لا يبغضون من أكد عليهم هذا الأمر الذي يكرهونه"².

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (532/1).

² شيخ زاده: حاشية شيخ زاده. (179/2).

والحق سبحانه يُبَيِّنُ أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن بأمره سبحانه على محمد ﷺ فالقرآن مصدق للكتب السماوية السابقة، فالذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام هو ذاته الذي أنزل الإنجيل والقرآن، فلمَ لم ينكروا على جبريل عليه السلام أنه نزل بالتوراة على موسى عليه السلام وأنكروا عليه نزوله بالقرآن على محمد ﷺ؟ الحق سبحانه هو الأمر بالنزول وجبريل عليه أن يطيع أمر خالقه جل علاه، فلمَ معاداة المأمور بالنزول؟ "إذن فقولهم ميكائيل حبيبنا وجبريل عدونا من الماديات، والله تبارك وتعالى يقول لرسوله ﷺ . . . إنهم يُعَادُونَ جبريل لأنه نزل على قلبك بإذن الله . . . ومادام نزل من عند الله على قلبك . . . فلا شأن لهم بهذا . . . وهو مصدق لما بين يديهم من التوراة"¹ فالاسم الموصول (ما) مبهم يقع على كل شيء² فهذا يدل على مساواة الكتب النازلة عن طريق جبريل عليه السلام بأمر الحق سبحانه، فكما أنه نزل بالتوراة ولم تستكروا عليه ذلك؛ فلا يجوز لكم أن تستكروا نزوله بالقرآن على قلب محمد ﷺ.

يقول الفخر الرازي: "أما قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فمحمول على ما أجمع عليه أكثر المفسرين من أن المراد ما قبله من كتب الأنبياء ولا معنى لتخصيص كتاب دون كتاب"³.

ثالثاً: مدح مؤمني أهل الكتاب العارفين بمحمد ﷺ

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:) مدح للنبي ﷺ بأن جاء ذكره في الكتب المقدسة المنزلة من عند الحق سبحانه، فهم يعرفونه كما يعرف الواحد فيهم ولده، فكلمة ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ فيها إضمار يعود على النبي ﷺ وهذا يدل على بلاغة السياق، يقول الزمخشري: "وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه

¹ الشعراوي: تفسير الشعراوي. (282/1).

² انظر: سيبويه: الكتاب. (228/4).

³ الرازي: مفاتيح الغيب. (179/3).

لشهرته وكونه علماً معلوماً¹، وقد نال أهل الكتاب في هذه الآية مدحاً بأن ساق الحق سبحانه ذكرهم مع ذكر النبي ﷺ، فهم ييوجون بما في كتبهم من نعته على المأبذ دليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي أن هناك فريقاً آخر لم يكتم نعته فكان مظهراً لذكره ﷺ كما ورد في كتبهم.

والاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ، وحين تفتتح الآية بالاسم الموصول؛ فهذا يدل على علو شأنهم، فالمدح مقصور على من اتبع هذا المنهج القويم، فمن تلا الكتاب حق تلاوته؛ فهو داخل في مدح الله تعالى لهذه الطائفة.

ومما يدل على مدح العارفين لصفاته المظهرين لها في هذه الآية قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَاهُم﴾ فآتيناهم أكثر ما تستعمل فيما له قبول، نحو: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ (الأنعام:)، وكلمة أوتوا قد تستعمل فيما لم يكن له قبول².

¹ الزمخشري: الكشاف. (230/1).

² انظر: أبو حيان: البحر المحیط. (608/1). الآلوسی: روح المعانی. (12/2).

المبحث الثالث

الاسم الموصول في سياق الذم

في السياق القرآني تُلحَظ أساليب عدة تشد القارئ وتريه آفاقاً لم يدركها العقل من قبل، فمن هذه الأساليب مجيء الاسم الموصول في سياق الذم، فالقرآن الكريم قد ذكر حال المعرضين عن هذا الدستور الرباني العظيم استكباراً وجحوداً، منهم المشركون ومنهم أهل الكتاب، وسيتم عرض حال الفريقين في هذا المبحث كلاً على حده.

وقد قُسمَ هذا المبحث إلى مطلبين، الأول: الاسم الموصول في سياق ذم الكفار. والثاني: الاسم الموصول في سياق ذم أهل الكتاب.

المطلب الأول: الاسم الموصول في سياق ذم الكفار

أولاً: ذم الكفار لقولهم الباطل بغير علم

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْنَصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة:) جاء قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، إن هؤلاء الذين لا يعلمون هم أقوام في مختلف العصور والأمكنة، ولا شك أنهم غير أهل الكتاب؛ لأن السياق جاء مقابلة بين فريقين وهما أهل الكتاب والذين لا يعلمون، فهم الذين قالوا مثل قول أهل الكتاب، ولو كانوا من أهل الكتاب لما خصوا بالذكر.

يقول الطبري أنه لا يوجد ما يخصص أقواماً دون أقوام¹، فطالما انعدم الدليل فتبقى عامة.

وفي هذا توبيخ لأهل الكتاب على مقولتهم، أي كيف يساوون أنفسهم وهم أصحاب علم بالكتاب بمن ليس له علم بكتاب ولا تنزيل ولا وحي، فهم وضعوا أنفسهم في هذه المنزلة المنحطة، وهذا تعريض باليهود والنصارى بأنهم قليلو علم.

¹ انظر: الطبري: جامع البيان. (517/2).

يقول الزمخشري: "وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم"¹.

ثانياً: ذم الكفار لاتخاذهم أنداداً مع الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة:) تشنيع لحال الذين اتخذوا أنداداً من دون الله تعالى، فالحق سبحانه ذكر حالهم بأنهم صائرون إلى نار جهنم، فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ورد في قوله تعالى الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾، وهو في سياق ذم للكفار الذين اتخذوا من الله أنداداً، "والموصول والصلة للإشعار بسبب رؤيتهم العذاب"²، فالعذاب متحقق لا يقدرّون على دفعه عنهم.

ومن الملاحظ أنه عند ذكر الذين اتخذوا أنداداً من دون الله تعالى جاءت صلة الموصول فعلاً مضارعاً ﴿يَتَّخِذُ﴾ لأن هذا الأمر لا يتوقف، فطالما أن الحياة الدنيا قائمة فالشرك كذلك قائم مفتعل، أما في صلة الموصول الثانية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فجاءت فعلاً ماضياً لأنها في سياق العذاب يوم القيامة، فالأعمال قد انتهت والحساب قد بدأ، فجاء التعبير بالفعل الماضي دون المضارع لاقتضاء الحال.

المطلب الثاني: الاسم الموصول في سياق ذم أهل الكتاب

من خلال الآيات التي ذمّت تعنت أهل الكتاب يُلاحظ أنهم لا ينفكون عن تحريف الأحكام الشرعية ومعاداة الرسل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فكان هذا المطلب على فرعين، الأول: ذم أهل الكتاب لتحريف الكتب والأحكام الشرعية. والثاني: ذم أهل الكتاب لكفرهم بالرسل.

¹ الزمخشري: الكشاف. (205/1).

² الألوسي: روح المعاني. (35/2).

الفرع الأول: ذم أهل الكتاب لتحريف الكتب والأحكام الشرعية

أولاً: ذم أهل الكتاب لريبهم في أمر البقرة

في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ﴾ (البقرة:) جاءت هذه الآية في معرض جريمة قتل وقعت في زمن موسى عليه السلام، فبنوا إسرائيل على عادتهم يمارون في تنفيذ أمر الحق سبحانه، فقوله تعالى: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ﴾ بيان من موسى عليه السلام بأن ينفذوا أمر الحق سبحانه، والاسم الموصول جاء نيابة عن ذبح البقرة وغيره ليعم الحكم على الذبح وعلى كيفية تعاملهم مع البقرة بعد الذبح¹.

ولفظه ﴿تُؤْمُرُونَ﴾ تبين أن هذه القضية هي أمر من الله تعالى.

وفي سياق هذه القصة ذكر الحق سبحانه في كتابه الحكيم قضية تتعلق ببني إسرائيل أنهم كتموا أموراً ظنوا أنها ستظل طي الكتمان، لكن الحق سبحانه بعلمه الأزلي يريد أن يعلمهم أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فقال: ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة:) فالحق سبحانه هو القادر على إخراج الخفاء إلى العلانية وأن يعلم به كل الخلق، ومن الملاحظ أن الاسم الموصول في هذه الآية جاء مبهماً عن الأشياء التي كتمها بنو إسرائيل، فمن الأمور التي كتمها بنو إسرائيل أنهم أنكروا يوم البعث فأحيا الحق سبحانه ميتاً أمام أعين الأحياء حتى يوقنوا أن البعث سيحصل لا محالة، وهذه الحالة مثال واقعي للبعث يوم القيامة.

يقول الشعراوي²: "ولكن الله كان يريد شيئاً آخر يريد أن يرد بهذه الجريمة على جحود بني إسرائيل باليوم الآخر ويجعل الميت يقف أمامهم وينطق اسم قاتله ويجعلهم يرون البعث وهم أحياء ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾"².

¹ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (551/1 552).

² الشعراوي. تفسير الشعراوي. (227/1).

ثانياً: ذم أهل الكتاب لقولهم إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُكُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:) زعم اليهود أنهم لن يعذبوا في النار إلا أياماً معدودة، فقد أورد ابن حجر¹ قول اليهود أنهم لن تمسهم النار إلا أربعين يوماً " فقالوا لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا إليها قوم يعنون محمداً وأصحابه فقال رسول الله ﷺ بيده على رؤوسهم: بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم فيها أحد فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾"².

إن التعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:) يوجز عبارات كثيرة افتروها ظلماً وعدواناً، فهي إشارة إلى استهجان مقالاتهم، وأنها غير جدية بأن تنقل؛ بل هي جدية بطي ذكرها والمرور عنها دون إعادة ذكرها ونشرها.

ثالثاً: ذم أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعضه

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ فَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِينِكُمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:) جاء الحديث عن ميثاق بين رب العالمين وبين اليهود وهو " ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسراهم"³، فإذا كان الميثاق يشمل الجميع فإن المتخلف عنه يشمل العقاب كائناً من كان، سواء

¹ نشأ يتيماً ونفقه على الأبناسي والبلقيني وارتحل إلى الشام والحجاز فأخذ عنه جماعة ثم اقتصر على الحديث ومن تصانيفه العديدة: كتاب تقريب التهذيب في أسماء الرجال قد ذكر بين كتب السير والتراجم. انظر: اكتفاء القنوع. (136/1).

² ابن حجر: فتح الباري. (246/10).

³ الثعلبي: الكشف والبيان. (231/1).

أكان فرداً من عامتهم أم كبير قومهم، فعموم الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يشمل كل أفراد اليهود الذين دخلوا في الميثاق الرباني.

رابعاً: ذم أهل الكتاب لو دهم زوال الخير عن المسلمين

في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة:) يلحظ أن التعبير جاء بالاسم الموصول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وليس اليهود " لقصد شمول هذا الحكم اليهود والنصارى معاً"¹، ومن المعلوم أن كثيراً من أهل الكتاب قد أسلموا ودخلوا في دين رب العالمين فلا يشملهم هذا الخطاب لأنهم مع المسلمين في بوتقة واحدة.

فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ " دون قوله: ما يود أهل الكتاب على أنهم لم يتبعوا كتابهم لأن كتبهم تأمرهم باتباع الحق حيثما وجدوه ... فلما حسدوا النبي ﷺ على النبوة وحسدوا المسلمين فقد كفروا بما أمرت به كتبهم وبهذا يخلص الكلام إلى الجمع بين موعظة النصارى مع موعظة اليهود.

ولما كان ما اقتضاه الحال من التعبير بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قد يوهم كون البيان قيداً وأن الكافرين من غير أهل الكتاب لا يحسدون المسلمين عطف عليه قوله: ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ كالاكتراث وليكون جمعاً للحكم بين الجميع"².

وفي تخصيص صلة الموصول بلفظة ﴿كَفَرُوا﴾ دلالة بلاغية عناها الحق سبحانه في بيان تعنتهم وإصرارهم على الباطل.

يقول الألوسي: " وفي إيقاع الكفر صلة للموصول وبيانه بما بين وإقامة المظهر موضع المضمّر إشعار بأن كتابهم يدعوهم إلى متابعة الحق إلا أن كفرهم يمنعهم"³.

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (653/1).

² ابن عاشور: التحرير والتنوير. (653/1).

³ الألوسي: روح المعاني. (350/1).

خامساً: ذم أهل الكتاب لزعمهم أن الله ولداً

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ (البقرة:) جاءت هذه الآية في معرض ذكر أهل الكتاب وكيف هم مع المؤمنين بالله تعالى وبمحمد ﷺ فهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولم يقتصر الأمر على المؤمنين فقط؛ بل وصل الأمر إلى أن تناولوا على رب العالمين، فاليهود قالت: عزيز بن الله، والنصارى قالت: المسيح بن الله، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات الله¹.

إن التعبير بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ يدل على تدني المخلوقات أمام الحق سبحانه، فهي ملكه وفي سلطانه وتحت تصرفه.

يقول ابن كثير: "ليس الأمر كما افترضوا، وإنما له ملك السماوات والأرض، وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومُقدِّرهم ومسخرهم، ومسيرهم ومصرفهم، كما يشاء، والجميع عبيد له وملك له، فكيف يكون له ولد منهم، والولد إنما يكون متولداً من شيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد"².

والاسم الموصول ﴿مَا﴾ يدل على عموم العقلاء وغير العقلاء على حد سواء فهي "مبهمة تقع على كل شيء"³.

سادساً: ذم أهل الكتاب لقولهم إن أبا الأنبياء وذريته كانوا هوداً أو نصارى

في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

¹ انظر: الثعلبي: الكشف والبيان. (264/1).

² ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (396/1). انظر: الشعراوي: تفسير الشعراوي. (326/1).

³ سيبويه: الكتاب. (228/4).

(البقرة:) جاء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً﴾ فجملة ﴿مِمَّنْ﴾ جار ومجرور:
(من) حرف جر و(من) اسم موصول¹.

إن الاسم الموصول (من) للمفرد، وصلته ﴿كَتَمَ﴾ جاءت أيضاً مفردة ولم تأت الجملة
(ومن أظلم من الذين كتموا) وذلك أن الإفراد الدال على الجمع أعم، فكل من فعل فعلهم شمله
الخطاب.

وجاءت صلة الموصول فعلاً ماضياً للدلالة على أن الكتمان قد صدر منهم منذ فترة
بعيدة وما زال حاصلًا.

والكتمان الذي صدر من أهل الكتاب هو قولهم عن إبراهيم عليه السلام وذريته إنهم
كانوا يهوداً أو نصارى، بحسب ادعاء كل طائفة بنسب الأنبياء إلى دينهم، فالحق سبحانه وبخهم
بأن جعل الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُونَ﴾ للتوبيخ، فمن أين أتيتم بهذا العلم بأنهم كانوا
يهوداً أو نصارى؟ ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، فالكتمان هنا أصله كتمان علم فهم يملكون العلم بأن
إبراهيم وذريته كانوا حنفاء مسلمين فكتموا وأظهروا غيره، فذموا لأجله².

الفرع الثاني: ذم أهل الكتاب لكفرهم بالرسول عليهم السلام

أولاً: ذم أهل الكتاب لنفاقهم أمام المسلمين

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا
فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:) هذه الآية لها ارتباط وثيق
بالآيات السابقة لا تنفك عنها كقصة البقرة وقسوة القلب فهي تتحدث عن بني إسرائيل، وهذه
الآية تصف حالهم كيف ينافقون أمام المسلمين بلفظ الإيمان، فإذا خلا بعضهم إلى بعض تراشقوا

¹ انظر: درويش: إعراب القرآن وبيانه. (198/1).

² انظر: الخازن: لباب التأويل. (117/1). ابن عرفة: تفسير ابن عرفة المالكي. (436/1).

اللوم كيف يحدثون المسلمين بما عندهم من علم بالكتاب¹، فالخسة قد جُبلت مع نفوسهم، فهم لا يترفعون عن المهانة في شيء، فسياق الآية سياق ذم لأهل الكتاب.

والتعبير بالاسم الموصول لطائفة المؤمنين للعموم، فأیما مؤمن لقوه وقالوا أمامه إنهم مؤمنون؛ صح التعبير بذلك.

والاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يوجز كثيراً من الأمور التي ينوون إخفاءها عن المسلمين حتى لا يحاجوهم عند ربهم، فهم يخفون صدق نبوة محمد ﷺ، وكذلك يخفون أموراً كثيرة من أمور دينهم، لكن بعضهم أطلع المسلمين على بعض ما أخفي على المسلمين فلام اليهود بعضهم البعض².

وجاءت صلة الموصول ﴿فَتَحَ﴾ فعلاً ماضياً لأن التوراة نزلت على موسى عليه السلام، وهذا الحدث حصل في زمن النبي محمد ﷺ، فالتعبير بالفعل الماضي يدل على ما نزل سابقاً، ولو جاء التعبير بالفعل المضارع لكان ذلك إشارة إلى أن الوحي ما زال ينزل على اليهود وهذا محال.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة:) متصل بالآية التي سبقتها، وهي: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾³. فالتعبير بالاسم الموصول عن ماهية الإسرار والإعلان ليعم كل ما يحاولون إخفاءه، ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم:). فإسرارهم الكفر بالله تعالى وبمحمد ﷺ لا يخفى على الحق سبحانه، وإعلانهم الإيمان بالله ورسوله نفاقاً في قلوبهم، وتحريفهم الكلم لا يخفى على الحق سبحانه، فאלله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء والأرض⁴.

¹ انظر: الثعلبي: الكشف والبيان. (222/1).

² انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (308/1 309).

³ انظر: شيخ زاده: حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي. (120/2).

⁴ انظر: الطبري: جامع البيان. (256/2).

وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ فَأَوْفِ بِمَا لَكَ بِهِمْ عِلْمٌ إِنَّهُ كَانَ بَشَرًا مِّنْ قَبْلِكَ﴾ (البقرة: 128) متابعة لحال اليهود المذموم الذي أراد رب العالمين بيانه في كتابه الحكيم، فبكفرهم هذا بغي من صنع أيديهم، وإلا فالحق ظاهر للعيان لا ينكره إلا جاحد.

والتعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ فَأَوْفِ بِمَا لَكَ بِهِمْ عِلْمٌ﴾ يدل على أن العبرة أنه كتاب قد نزل من عند الحق سبحانه بغض النظر عن ماهية التشريع أو عمن نزل عليه، فالقضية الأساسية أن الحق سبحانه هو صاحب التنزيل وهو المشرع، وما على البشر إلا الانصياع وعدم الجدل والمراء.

والاسم الموصول ﴿عَنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يدل على عمومية الاختيار عند الحق سبحانه، وليس للبشر الحق في الاعتراض على اختيار فلان دون فلان، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: 124).

يقول السمرقندي: "ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ يعني كفروا بما ينزل الله تعالى ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني لم يؤمنوا لأجل أن الله تعالى ينزل من فضله النبوة والكتاب ﴿عَنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ من عبادوه من كان أهلاً لذلك وهو محمد ﷺ¹.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 120) جاء حرف الجر ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ليدل على أن النبذ حصل من بعضهم وليس من أهل الكتاب كلهم، فبعضهم آمن بالنبي ﷺ مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ومنهم من لم يعاصر النبي ﷺ فلا يدخل في سياق هذه الآية.

¹ السمرقندي: بحر العلوم. (99/1).

يقول أبو السعود: "وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لأن النبذ عند مجيء النبي لا يتصور منهم"¹.

ويقول الشعراوي: "وقوله تعالى: ﴿بَدَأَ فِرْقٌ﴾ يعني نبذ جماعة وبقيت جماعة أخرى لم تنبذ الكتاب . . بدليل أن ابن سلام وهو أحد أئمة اليهود صدق رسول الله ﷺ وآمن به . . . فلو أن القرآن عمم ولم يقل فريق لقليل إنه غير منصف لهؤلاء الذين آمنوا"².

والغرض من التعبير بالاسم الموصول هنا هو المبالغة في التشنيع عليهم بنبذ كتاب الله وراء ظهورهم؛ إذ إن نبذ كتاب الله وراء الظهر منكر البتة، ولكنه أشنع وأبشع إذا صدر عن أوتي الكتاب؛ إذ الأصل فيه أن يكون ممن يحافظ عليه لا أن ينبذه وراء ظهره. ثانياً: ذم أهل الكتاب لعدم اتباعهم القبلة

في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:) (تقريب لأهل الكتاب لرفضهم الإيمان والاتباع للحق بتحويل القبلة، فالحق سبحانه يُبين أنهم لن يؤمنوا ولو جاءهم النبي ﷺ بكل آية تثبت صحة دعوته، فالعقل يقضي أن يكون حكماً في الخلاف، لكن هؤلاء لا يتنازلون بقبول آية توافق العقل، فكان هذا الفعل قد جلب المذمة لهم.

يقول أبو السعود: "﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وضع الموصول موضع المضمرة للإيذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يرغمهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كبروا في قبوله"³، فالتعبير بالاسم الموصول يدل على مدى سخف عقولهم، فهم أهل كتاب، ومما زاد من غباوتهم؛ أنهم رفضوا قبول الحق الذي أنزله رب العالمين على نبيه محمد ﷺ.

¹ أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (135/1).

² الشعراوي: تفسير الشعراوي. (286/1).

³ أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (175/1). انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (35/2). انظر: الألوسي: روح

المعاني. (11/2).

المبحث الرابع

الاسم الموصول في سياق التعظيم

إن هذا الأسلوب لا يقل أهمية عن باقي الأساليب، فهو يضيف على السياق بلاغة عالية لا توجد في أي كتاب غير القرآن الكريم، ففي آيات كثيرة يُلاحظ فيها تعظيم للمذكور، فقد تكون لعظمة ذاته وهو الله تعالى لا يشاركه فيها أحد، أو لعظمة عمل المخلوقات التي شرفها رب العالمين.

المطلب الأول: الاسم الموصول في سياق تعظيم الله تعالى

أولاً: أدب الملائكة مع رب العالمين بنفي العلم عنهم إلا ما علمهم إياه

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة:) نزهت الملائكة رب العالمين عن أي عجز ومنقصة وظلم أو أي أمر قد يُعيب الحق سبحانه فهو علي حكيم عظيم، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى:)، فالملائكة أرادت أن تعظم الحق سبحانه بأنه صاحب العلم المطلق ولا يعلمون شيئاً إلا إذا علمهم إياه¹ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة:).

فقوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ أدب من الملائكة مع رب العالمين، فهم قد "نفوا عنهم العلم بالأسماء على وجه المبالغة"²، وقد جاء التعبير بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ ليدل على أنهم لم يتعلموا الأسماء التي تعلمها آدم عليه السلام، وهذا "يدل على أن علومهم محدودة غير قابلة للزيادة فهي مقصورة على ما ألهمهم الله تعالى وما يأمرهم"³ وصلة الموصول تدل على أن تعلم العلم لا يكون إلا من الله تعالى، فالملائكة قد نسبت العلم وتعلمه لرب العالمين.

¹ انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (225/1).

² أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (85/1).

³ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (414/1).

ثانياً: تعظيم الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته

في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة:) في هذه الآية تعظيم للخالق سبحانه، فهي تمجده وتنزهه عن كل منقصة، فلا تأخذه سنة ولا نوم، وله ما في السموات وما في الأرض وكل الخلق خاضع لأمره سبحانه جل علاه، فحريٌّ أن يُعبد من اتسم بهذه الصفات.

يقول الخازن: "تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية"¹.

فالتعبير بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ يدل على أن من ملك هذا الملك إنما يدل على عظمة وقدرة مالكه، فهو تحت تصرفه وسيطرته.

ومن اللفظات البلاغية في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أن عبر بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ وليس بـ (من) وذلك أن الخلق والملك له سبحانه وتعالى، وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ﴿مَا﴾².

ثالثاً: تفرد الله تعالى بالقدرة المطلقة

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:) دلالة على عظمة الخالق سبحانه، فالإحياء والإماتة لا تكون إلا من بيده القدرة المطلقة، وليس في الوجود من يملك القدرة

¹ الخازن: لباب التأويل. (267/1).

² انظر: الخازن: لباب التأويل. (269/1).

المطلقة إلا الحق سبحانه، فإبراهيم عليه السلام أراد أن يقرر ذلك في نفس المنكر الذي يجادله، لكنه أبى.

ومن الملاحظ أن وجود الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يفيد الاختصاص، فلو انتزع الاسم الموصول ﴿الَّذِي﴾ من الآية لصار المعنى أن هناك أحداً ما يشترك مع الله تعالى في الإحياء والإماتة، فموضع الاسم الموصول أخرج الكل من دائرة القدرة على الإحياء والإماتة، وذلك أن "الإخبار بالموصول يفيد الاختصاص بالمخبر عنه"¹.

ومما يدل على أن قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ خاص بالحق سبحانه بقضية الإحياء والإماتة وليس له شريك فيهما؛ أن الكافر الذي جادل إبراهيم عليه السلام قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أي أن ما "ادعيت فيه الاختصاص لربك ليس كذلك، بل أنا مشاركه في ذلك"² فالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ورد الكافر على إبراهيم عليه السلام يدلان على أن قضية الإحياء والإماتة خاصة بالحق سبحانه لا يشاركه فيها أحد.

المطلب الثاني: الاسم الموصول في سياق تعظيم المخلوقات

أولاً: تعظيم الجنة التي سكنها آدم عليه السلام

¹ السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، ت(756هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. (6) مج. تحقيق: علي محمد معوض وآخرين. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1414هـ/1994م). (619/1 - 620). ابن عادل، عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض. (20) مج. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1419هـ/1998م). (340/4).

*السمين الحلبي: قرأ النحو على أبي حيان والقراءات على ابن الصائغ وسمع وولي تصدير إقراء النحو بالجامع الطولوني، وصنف تصانيف حسنة منها تفسير القرآن مطول، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتفسير وعلم القراءة ويتكلم في الأصول. انظر: طبقات الشافعية. (18/3-19).

² أبو حيان: البحر المحيط. (299/2).

في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة:) جاءت هذه الآية تعقيباً على الحديث الذي كان بين الحق سبحانه وآدم عليه السلام، وبين آدم عليه السلام وإبليس، فرب العزة أراد أن يبين أن النعيم الذي كان فيه آدم عليه السلام نعيم عظيم لا يفوقه نعيم، فالتعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على ذلك.

يقول ابن عاشور: "والمراد من الموصول وصلته التعظيم، كقولهم: قد كان ما كان" ¹.

ثانياً: تعظيم مكانة الشهداء

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:) جاءت الآية بالاسم الموصول (من) ليكون عاماً، وجاءت صلة الموصول فعلاً مضارعاً ليشمل الحاضر والمستقبل.

إن هذه الآية جاءت في سياق تعظيم منزلة الشهداء، فمن ضحى بنفسه في سبيل الله تعالى لا بد أن يكرمه رب العالمين؛ حتى يكون حثاً للمؤمنين ليمضوا في ذاك السبيل فينالوا تلك المنزلة العظيمة.

وسبب نزول الآية: "أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله هذه الآية" ².

يقول ابن عطية: "إن المؤمنين صعب عليهم فراق إخوانهم وقراباتهم فنزلت الآية مسلية لهم تعظم منزلة الشهداء وتخبر عن حقيقة حالهم فصاروا مغبوطين لا محزوناً لهم" ³.

¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (434/1).

² الواحدي: أسباب النزول. ص(27). لا يوجد معلومات نشر.

³ ابن عطية: المحرر الوجيز. (213/1).

ثالثاً: تعظيم درجة المتقين

في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة:)، جاء النص في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وهذا النص إنما يعني المؤمنين في النص الذي سبقه وهو: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ومن الملاحظ أن الحق سبحانه قد ذكرهم بصفة التقوى، فلا غرو أن تذكر هذه الصفة مضافة إلى صفة الإيمان؛ لعلو مكانتهم عند رب العالمين.

يقول البيضاوي¹: "وإنما قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، بعد قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليدل على أنهم متقون، وأن استعلاءهم للتقوى"².

إن إعادة الاسم الموصول تؤكد أن المقصود هم المؤمنون؛ كيلا يفهم أن الفوقية للكفار وليس للمؤمنين، فقد "أريد من الذين اتقوا المؤمنون الذين سخر منهم الذين كفروا؛ لأن أولئك المؤمنين كانوا متقين، وكان مقتضى الظاهر أن يقال وهم فوقهم لكن عدل عن الإضمار إلى اسم ظاهر لدفع إيهام أن يغتر الكافرون بأن الضمير عائد إليهم"³.

إن مرتبة التقوى مرتبة سامية لا يبلغها إلا من اجتهد على نفسه لينال مرضاة الجليل العظيم، فبالتقوى يكون فوق الذين كفروا.

¹ عالم آذربيجان وشيخ تلك الناحية ولي قضاة شيراز. قال السبكي: كان إماماً مبرزاً نظاراً خيراً صالحاً متعبداً وقال ابن حبيب: عالم نمي زرع فضله ونجم وحاكم عظمت بوجوده بلاد العجم برع في الفقه والأصول وجمع بين المعقول والمنقول تكلم كل من الأئمة بالثناء على مصنفاته. انظر: طبقات الشافعية. (172/2).

² البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت(791هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (3) مج. تحقيق: محمد صبحي حلاق ود. محمود أحمد الأطرش. ط (1). بيروت: دار الرشيد. (1421هـ/2000م). (183/1).

³ ابن عاشور: التحرير والتنوير. (297/2).

الآية ذكرت: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ولم يقل (والذين آمنوا) " لأنه قد يؤخذ الإيمان على أنه اسم، فقد شاع عنك أنك مؤمن، فأنت بهذا الوصف لا يكفي لتتال به المرتبة السامية إلا إذا كانت أفعالك تؤدي بك إلى التقوى¹.

رابعاً: تعظيم منزلة الرسل عليهم السلام

في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَمُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة:) يُلحَظ أن هذه الآية جاءت بعد سرد قصة داود عليه السلام، فهو نبي كباقي الأنبياء، وهم معظمون مشرفون مطهرون على سائر الخلق، وهم صفوة الخلق أجمعين، وهم المبلغون عن رب العالمين للناس؛ ليعلموهم منهج الإسلام لينالوا الرضا في الدنيا والآخرة. يقول ابن عاشور: "والمقصود من هذه الآية تمجيد سمعة الرسل عليهم السلام، وتعليم المسلمين أن هاته الفئة الطيبة مع عظيم شأنها قد فضل الله بعضها على بعض، وأسباب التفضيل لا يعلمها إلا الله تعالى"².

وفي الآية ذاتها ذكر موسى عليه السلام بصفة التكليم، قال تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ فالاسم الموصول سد مسد الاسم الصريح وهو موسى عليه السلام لتظهر صفة التكليم التي تشرف بها موسى عليه السلام.

لكن يُلحَظ أن كلمة ﴿مِنْهُمْ﴾ تعني الجمع أي أن غير موسى عليه السلام قد كلم الله تعالى دون وساطة جبريل عليه السلام، وهذا ثابت في السنة النبوية المشرفة، فقد روى ابن حبان بسنده عن أبي أمامة " أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم مكلّم"³.

¹ الشعراوي: تفسير الشعراوي. (557/1).

² ابن عاشور: التحرير والتنوير. (6/3).

³ ابن حبان، محمد: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. (18) مج. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط (2). بيروت: مؤسسة الرسالة. (1414هـ/1993م). رقم الحديث (6190). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. (69/14). قال الألباني: هذا إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير الديرعاقولي، وهو ثقة ثبت. انظر: السلسلة الصحيحة. (32) مج. رقم الحديث (2668). لا يوجد معلومات نشر. (167/6).

* ابن حبان: كان على قضاء سمرقند زماناً وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم صنف المسند الصحيح والتاريخ وكتاب الضعفاء وفقه الناس بسمرقند. قال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال. انظر: تذكرة الحفاظ. (921/3).

" وقد صح في حديث الإسراء حيث ارتقى رسول الله ﷺ إلى مقام تأخر عنه فيه جبريل، أنه جرت بينه ﷺ وبين ربه تعالى مخاطبات ومحاورات، فلا يبعد أن يدخل تحت قوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ موسى وادم ومحمد ﷺ لأنه قد ثبت تكليم الله لهم¹. فالاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ عمّ أسماء لم يُذكروا في الآية، وجاءت صلة الموصول ﴿كَلَّمَ﴾ فعلاً ماضياً لتدل على أن التكليم حصل في الماضي وانتهى.

خامساً: تعظيم سيد الخلق محمد ﷺ والمؤمنين

في قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:) تعظيم لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين لإيمانهم بما نزل من عند الحق سبحانه²، والذي نزل من عند الحق سبحانه عام لا يخص أمراً دون آخر، فالمراد " بما أنزل إليه ما يعم كله وكل جزء من أجزائه ففيه تحقيق لكيفية إيمانه وتعيين لعنوانه أي آمن عليه السلام بكل ما أنزل إليه من ربه والكتب وغير ذلك من حيث إنه منزل منه تعالى³.

فالاسم الموصول (ما) يعود إلى الشريعة المنزلة على سيد الخلق محمد ﷺ وصلة الموصول ﴿أُنْزِلَ﴾ يدل على التشريف، فنزول الرسالة الخالدة على سيد الخلق محمد ﷺ تعظيم له وللمؤمنين.

¹ أبو حيان: البحر المحیط. (282/2). انظر: مسلم، مسلم بن الحجاج، (261هـ): صحيح مسلم. (18) مج. تحقيق: خليل مأمون شيجا. ط (1). بيروت: دار المعرفة. (1414هـ/1994م). (388/2). انظر: الألوسي: روح المعاني. (2/3). انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (8) مج. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـ/1995م). (د. ط.). (485/1).

² انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (131/3).

³ أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (273/1).

المبحث الخامس

الاسم الموصول في سياق التهديد

ورد في بعض الآيات من سورة البقرة تهديد لأناس يتمردون على أوامر الحق سبحانه وكأنهم أدرى بما ينفعهم.

إن الشريعة الإسلامية راعت أحوال العباد، فبعض الناس يصلح حاله على اللين حتى يلتزم شرع الله تعالى، وبعض الناس يصلح حاله على الشدة حتى يلتزم شرع الله تعالى، وقد لا يلتزم لأنه مكابر فيكون التهديد رادعاً له، وبنو إسرائيل لهم النصيب الأكبر في هذا الأمر وهو التهديد، وذلك لجدالهم وخصامهم لأنبيائهم، فكان مناسباً لهم أن يهددهم رب العالمين حتى يرجعوا إلى رشدهم.

أولاً: تهديد المانعين والمخربين للمساجد أن يذكر فيها اسم الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:)
تبكيت للذين يمنعون الناس من أداء العبادة في المساجد سواء كان البيت الحرام أم بقية المساجد في شتى بقاع الأرض¹، فالاسم الموصول (مَنْ) عام لكل مانع، والآية قد افتتحت بالحديث عن الظلم، وهي تهديد بأن عاقبته وخيمة، وصلة الموصول ﴿مَنَعَ﴾ تدل على عظم الجرم المقترف.

¹ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (680/1). القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ت(671هـ): الجامع

لأحكام القرآن. (20) مج. تحقيق: هشام سمير البخاري. الرياض: دار عالم الكتب. (1423هـ/2003م). (د. ط.).

ثانياً: تهديد الذين أوتوا الكتاب بالكف عن إخفاء الحق وكتمانه

في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:) كشف للستار عن جحود أهل الكتاب لهذا الدين العظيم، فهم يخفون حقائق البشارة بدين الإسلام العظيم حتى يعيشوا على هواهم كما اعتادوا عليه، فبهواهم هذا يعيشون كما يشتهون، وفي هذه الآية يبين الحق سبحانه أن أهل الكتاب يعلمون أن نقل القبلة حق من رب العالمين¹، والاسم الموصول (ما) عام لكل أعمالهم، وصلة الموصول جاءت فعلاً مضارعاً ليدل على أنه مطلع على أعمالهم في كل زمان ومكان، فهو ليس بغافل جل علاه، فأهل الكتاب عاندوا وأصروا على الكفر بعد معرفة الحق النازل من عند الله تعالى، " ولهذا يهددهم تعالى بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾"².

¹ انظر: السمرقندي: بحر العلوم. (127/1).

² ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (461/1). انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (34/2).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، وبعد:

فإني وبعد أن انتهيت من هذا البحث خلصت إلى النتائج الآتية:

1. إن الاسم الموصول له أهمية كبيرة في النص القرآني يؤدي فيه دوراً بحيث لا تسد مسده كلمة أخرى.
2. الاسم الموصول له فوائد بلاغية جمّة، فهو يزيل الخصوصية ويوجز كثيراً من عبارات لا غرض لذكرها، وكذلك الثناء والذم لأناس لهم بصمة في الأحداث القرآنية، وكذلك التأكيد والتعليل والتعظيم والتهديد.
3. إن الأسماء الموصولة لها معانٍ يؤدي كل منها دوراً في السياق بحيث لا يصلح استبدال اسم مكان اسم آخر.
4. إن الاسم الموصول له دلالة بلاغية في سياق العقيدة والأحكام الشرعية بحيث يبرز القضية بغاية الروعة والإتقان.
5. في القرآن الكريم آيات عديدة تبين عظمة رب العالمين وعظمة المخلوقات التي كرمها الحق سبحانه، فيكون للاسم الموصول دور في إظهار هذه الصور البلاغية السامية.
6. كثير من الناس يتناولون على رب العالمين وعلى رسله والمؤمنين، فيكون التهديد رادعاً لهم حتى يستشعروا جرم فعالهم، والاسم الموصول متصل بهذا العقد الرصين لرد هؤلاء إلى الحق.
7. عندما أنعم الحق سبحانه على عباده بالنعمة العظيمة؛ أراد منهم أن يشكروه فهي علة للعبادة، فالعبادة شكر الله تعالى على نعمه وآلائه العظيمة، والاسم الموصول جاء موجزاً لهذه القضية.
8. يوصي الباحث بضرورة استمرار البحث في موضوع الاسم الموصول ودلالاته البلاغية في القرآن الكريم، حتى تعم الفائدة لطلبة العلم.

جدول الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الآيات

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	البقرة	3	68 65 43 29
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَآخِرَةُ هُمْ يَرْجِعُونَ﴾	البقرة	4	44 43
﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	البقرة	5	58 57
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾	البقرة	6	33
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾	البقرة	17	24
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	البقرة	21	34 26
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾	البقرة	22	35
﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارُ﴾	البقرة	24	22
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	البقرة	25	45 22 21
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾	البقرة	26	45
﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾	البقرة	27	29
﴿مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا﴾	البقرة	30	22
﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾	البقرة	32	93 92
﴿فَأَرْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾	البقرة	36	95 30

46	38	البقرة	﴿فَمَنْ يَبْعَ هَذَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
47 46	39	البقرة	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾
48 47	40	البقرة	﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾
50 49 48	41	البقرة	﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾
68	46	البقرة	﴿الَّذِينَ يَطُفُونَ أَنفُسَهُمْ يَلْعَنُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
47	49	البقرة	﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ ءَالٍ فَزَعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾
75	55	البقرة	﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾
51	58	البقرة	﴿وَادْخُلُوا أَبْنَابَ سُجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾
52 51 50	59	البقرة	﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾
75 74	62	البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾
31	63	البقرة	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾
52	65	البقرة	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾
82	68	البقرة	﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾
83 82	72	البقرة	﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْنُفُونَ﴾
89 88	76	البقرة	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ﴾
89	77	البقرة	﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

83	80	البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا أَلَنَّا إِلَّا أَتِينَا مَعْدُودَةً﴾
84	85	البقرة	﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا﴾
53	87	البقرة	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾
55 54	89	البقرة	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾
89	90	البقرة	﴿يُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَلِتُزَكِّيَ بِلَاغِ الْبَيِّنَاتِ﴾
27	91	البقرة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ أَنْزَلَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
57	94	البقرة	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْيَاكُمْ يُقْبَلْ مِنْكُمْ تَابِعُوا﴾
56	95	البقرة	﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾
78 77	97	البقرة	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾
90	101	البقرة	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾
32	104	البقرة	﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
85 84	105	البقرة	﴿مَا يَوْزُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
56	111	البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًى﴾
80 57	113	البقرة	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَانِي عَلَى شَيْءٍ﴾
101	114	البقرة	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾
85	116	البقرة	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾
58 57	121	البقرة	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّى تَلَوتَهُ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

87 86	140	البقرة	﴿ أَمْ نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾
22	142	البقرة	﴿ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ ﴾
102	144	البقرة	﴿ قَدْ رَأَى تَغْلُبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾
91	145	البقرة	﴿ وَلَكِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ﴾
78	146	البقرة	﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾
60 59	150	البقرة	﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾
96	154	البقرة	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ﴾
60	159	البقرة	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾
81	165	البقرة	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ ﴾
28	170	البقرة	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنفَيْنَا ﴾
69	177	البقرة	﴿ لَيْسَ إِلَهَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِيلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾
62 61	181	البقرة	﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾
70	207	البقرة	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾
98 97 62	212	البقرة	﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْعُرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
71	213	البقرة	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ ﴾
63	218	البقرة	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

24	219	البقرة	﴿وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفَوُ ۖ﴾
40 39	228	البقرة	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۖ﴾
72 71	232	البقرة	﴿ذَٰلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ﴾
72	245	البقرة	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا ۖ﴾
99 98	253	البقرة	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ﴾
94 93 21	255	البقرة	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۖ﴾
36 35	256	البقرة	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۖ﴾
68 35	257	البقرة	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ﴾
95 94	258	البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ۖ﴾
38 37	262- 261	البقرة	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ۖ﴾
32	262	البقرة	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ۖ﴾
73	265	البقرة	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اتِّبَاعًا مَّرَضَاتٍ لِلَّهِ ۖ﴾
73	269	البقرة	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۖ﴾
38 37	275	البقرة	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ۖ﴾
64	277	البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۖ﴾
99	285	البقرة	﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾
75	85	آل عمران	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ۖ﴾

23	3	النساء	﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾
47	20	المائدة	﴿الْأَنْبِيَاءُ إِلَى الْبُيُوتِ يُؤْتِيكَ مِنْهَا مَوْزَنُ الْقَبْلِ وَإِنِّهَآ خَزَآئِنُ الْغَنَىٰ الْفَخْرُ﴾
79	89	الأنعام	﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾
90	124	الأنعام	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾
51	162	الأعراف	﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
22	194	الأعراف	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ﴾
70	20	يوسف	﴿وَشَرُّهُ شَرٌّ بَحْسٍ﴾
89	38	إبراهيم	﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
23	17	النحل	﴿كَمْ لَا يَخْلُقُ﴾
23	69	طه	﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا﴾
23	45	النور	﴿مَنْ يَمْشِ عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾
47	63	النور	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾
93	11	الشورى	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
23	5	الأحقاف	﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾
67	13	الحجرات	﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَاِيلَ﴾

25	6 5	الطور	﴿وَالسَّافِرِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾
61	39 - 38	النجم	﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزْرَعُ وَزَرَأُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾
25	18	الحديد	﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾
71	11	التغابن	﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾
50	1	المسد	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

فهرس الأحاديث

الصفحة	رقم الحديث	الكتاب	الحديث
53	4529	البخاري	"أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا... "
63		فتح الباري	"فَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ النَّارَ إِلَّا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً..."
75	6190	صحيح ابن حبان	"أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْبِئْ كَانِ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَكْلَمٌ"

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم
7	الأسمرى، صالح بن محمد بن حسن آل عمير
	البخارى، محمد بن إسماعيل
	البغوى، الحسين بن مسعود
	البيضاوى، عبد الله بن عمر
	الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد
	الجرجاني، عبد القاهر
	ابن حبان، محمد
	ابن حجر، أحمد بن علي
	أبو حيان، محمد بن يوسف
	الخصري، محمد بن مصطفى
	دراز، محمد عبد الله
	الرازي، محمد بن عمر
	الزمخشري، محمود بن عمر
	السبكي، علي بن عبد الكافي
	السعدي، عبد الرحمن بن ناصر

	أبو السعود، محمد بن محمد العمادي
	السمرقندي، نصر بن محمد
	السمين الحلبي أحمد بن يوسف
	سيبويه، عمرو بن عثمان
	الشعراوي، محمد متولي
	شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى
	الصبان، محمد بن علي
	الطبري، محمد بن جرير
	ابن عاشور، محمد الطاهر
	ابن عرفة، محمد بن محمد
	ابن عطية، عبد الحق بن غالب
	ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن
	ابن فارس، أحمد
	الفوزان، عبد الله بن صالح
	ابن كثير، إسماعيل بن عمر
	ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن جمال الدين
	الواحيدي علي بن أحمد

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأسمرى، صالح بن محمد بن حسن. شرح الأجرومية. لا يوجد معلومات نشر.
- الألباني، محمد ناصر الدين، ت(1420هـ): السلسلة الصحيحة. لا يوجد معلومات نشر.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله: أسرار العربية. تحقيق: د. فخر صالح قدارة. ط (1). بيروت: دار الجيل. (1995م).
- الآلوسي، محمود أبو الفضل. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (30) مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ط/د. ت).
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (18) مج. ط (1). دار طوق النجاة. (1422هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. ط (3). بيروت: دار ابن كثير. (1407هـ/1987م).
- البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل. (8) مج. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين. ط (4). دار طيبة. (1417هـ).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (8) مج. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـ/1995م). (د. ط).
- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش. ط (1). بيروت: دار الرشيد. (1421هـ/2000م).
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. (4) مج. بيروت: مؤسسة الأعلمي. (د. ط/د. ت).
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. الكشف والبيان. تحقيق: أبو محمد بن عاشور. (10) مج. ط (1). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1422هـ/2002م).

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: **دلائل الإعجاز**. تحقيق: د. محمد التنجي. ط (1). بيروت: دار الكتاب العربي. (1995م).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. **التعريفات**. تحقيق: محمد علي أبو العباس. القاهرة: مكتبة القرآن. (د. ط/ د. ت).
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف: **النشر في القراءات العشر**. تحقيق: علي محمد الضباع. لا يوجد معلومات نشر.
- ابن حبان، محمد: **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. (18) مج. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط (2). بيروت: مؤسسة الرسالة. (1414هـ/1993م).
- ابن حجر، أحمد بن علي. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. (13) مج. بيروت: دار المعرفة. (1379هـ). (د. ط).
- أبو حيان، محمد بن يوسف. **البحر المحيط**. (8) مج. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1422هـ/2001م).
- الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم. **لباب التأويل في معاني التنزيل**. (7) مج. بيروت: دار الفكر. (1399هـ/1979م).
- الخضري، محمد بن مصطفى: **حاشية الخضري على ابن عقيل**. دار إحياء الكتب العربية. (د. ط/ د. ت).
- د. دراز، محمد عبد الله: **النبأ العظيم**. الدوحة: قطر. (1405هـ/1985م). (د. ط).
- درويش، محيي الدين: **إعراب القرآن الكريم وبيانه**. (10) مج. ط (4). دمشق: اليمامة. (1415هـ/1994م).
- الرازي، محمد بن عمر التميمي. **مفاتيح الغيب من القرآن الكريم**. (32) مج. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1421هـ/2000م).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. (4) مج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ط/ د. ت).

السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو. (4) مج. ط(2). عمان: دار الفكر. (1423هـ/2003م).

السبكي، علي بن عبد الكافي: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي. تحقيق: جماعة من العلماء. (3) مج. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1404هـ).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط (1). مؤسسة الرسالة. (1420هـ/2000م).

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. (9) مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ط/ د. ت).

السعيد، عبد اللطيف: قواعد اللغة العربية المبسطة. ط (3). (2006م). (د. م).

السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم. بحر العلوم. (3) مج. تحقيق: د. محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر. (د. ط/ د. ت).

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. (6) مج. تحقيق: علي محمد معوض وآخرون. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1414هـ/1994م).

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. (5) مج. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط (1). بيروت: دار الجيل. (د. ت).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. (3) مج. مصر: المكتبة التوفيقية. (د. ط/ د. ت).

الشربيني، محمد بن أحمد. السراج المنير. (4) مج. بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ط/ د. ت). الشعراوي. تفسير الشعراوي. لا يوجد معلومات نشر.

شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي. تحقيق: محمد عبد القادر شاهين. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1419هـ/1999م).

الصبان، محمد بن علي: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. لا يوجد معلومات نشر.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (24) مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط (1). مؤسسة الرسالة. (1420هـ/2000م).

ابن عادل، عمر بن علي. اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. (20) مج. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1419هـ/1998م).

ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. (30) مج. تونس: دار سحنون. (1997م). (د. ط).

عباس، فضل حسن. البلاغة فنونها وأفنانها. (2) مج. ط (11). الأردن: دار الفرقان. (1428هـ/2007م).

ابن عرفة، محمد بن محمد. تفسير ابن عرفة. تحقيق: د. حسن المناعي. ط (1). تونس: مركز البحوث بالكلية الزيتونية. (1986م).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مج (5). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1413هـ/1993م).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (2) مج. القاهرة: مكتبة دار التراث. (1426هـ/2005م). (د. ط).

ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (6) مج. دار الفكر. (1399هـ/1979م).

الفوزان، عبد الله بن صالح. تعجيل الندى شرح قطر الندى. لا يوجد معلومات نشر.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام سمير البخاري. (20) مج. الرياض: دار عالم الكتب. (1423 هـ / 2003 م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. (8) مج. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط (2). دار طيبة. (1420هـ/1999م).

النووي، يحيى بن شرف بن مري. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. تحقيق: خليل مأمون شيخا. (18) مج. ط (1). بيروت: دار المعرفة. (1414هـ/1994م).

المقرئ الإدريسي، أبو زيد. " منهج الحوار في القرآن الكريم ". القسم الثاني

www.alrashad.org/issues/11/11_Idrisi.htm

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. لا يوجد معلومات نشر.

الهاشمي، السيد أحمد. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. تحقيق: د. يوسف الصميلي. ط (1). بيروت: المكتبة العصرية. (1999م).

ابن هشام، عبد الله بن جمال الدين بن يوسف. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. (4) مج. تحقيق: د. محمود مصطفى حلاوي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1418هـ/1998م).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن عبد الله. شرح شذور الذهب، تحقيق: عبد الغني الدقر. ط (1). سوريا: الشركة المتحدة للتوزيع. (1404هـ/1984م).

الواحدي: علي بن أحمد بن محمد: الوسيط في تفسير القرآن المجيد. (4) مج. تحقيق: علي محمد معوض وآخرين. ط (1). بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـ/1994م).
الواحدي. أسباب النزول. لا يوجد معلومات نشر.

An-Najah National University

Faculty Of Graduate Studies

**Ism Mawsool (relative pronoun) and its rhetorical
significance**

**Diaa
"Mohammed
Marouf"
Saleh Aref**

Prepared by

Khazna, Ahmad Abdl-Hamid Ali

Supervised by

Dr. Abdullah, Ohdeh

Prof. Jabr, Yahiya

**This thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for
the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din),
Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus,
Palestine.**

2013

**Ism Mawsool (relative pronoun) and its rhetorical significance in Sura
al-baqara**

Prepared by

Khazna, Ahmad Abdl-Hamid Ali

Supervised by

Dr. Abdullah, Ohdeh

Prof. Jabr, Yahiya

Abstract

This study aims at discussing the relative pronoun (ism Mawsool) and its rhetorical significance in surah Albaqara. It is a rhetorical explanatory topic conducted by a student in order to obtain the Master degree in Theology from the Faculty of high studies at An-Najah National University under the supervision of Dr. Odeh Abdullah and Prof. Dr. Yahiya Jabr. In his study, the student studied the words of Islamic Canonical Sharia scholars and the Arabic language scholars.

In this study, the student tackled some questions related to the relative pronoun and its rhetorical significance in the context of Qur'an in the scope of Sura Albaqara in order find the relation between the relative pronoun and the Quranic context and the extent of its rhetoric. The student followed the analytical descriptive method briefly. He traced the relative pronouns mentioned in the books of interpretation and language and he followed their sayings. He has analyzed all of this to find the rhetoric of relative pronouns and its extent of the relation with verses of Surah Albaqara. There are some studies which discussed relative pronouns and its impact on the interpretation, but there are no studies that dealt with relative pronouns topic and its rhetorical significance individually, specialized and comprehensive, which the study characterized with.

The student made the study of introduction and two main chapters. Since, he allocated the introduction to talk about the relation of relative pronouns linguistically, rhetorical and their association together, also the link of relative pronouns with doctrine and canonical Sharia provisions.

In the first chapter, the researcher discussed the relative pronoun among the linguistic, rhetorical and semantic concepts. He divided it into four topics, the meaning of relative pronouns, the meaning of relative pronouns in Sura Albaqara, the rhetorical benefits for relative pronouns and the rhetorical significance of relative pronouns in the context of al-aqeedah (*Aqeedah is the Islamic theology branch of Islamic studies and deals exclusively with the understanding of Muslim creed.*) and the canonical Sharia provisions.

In the second chapter, he dealt with the significance of relative pronouns in the Quranic context / applicable study of surah Albaqara. He made it in six topics. He discussed the relative pronoun in the context of praising and disparage, encouraging and promoting the good work, veneration, threatens and reasoning.

The study concluded the results of the most important: the relative pronoun has an effect in alaqeedah and Canonical Sharia provisions. No words can replace the relative pronouns because it is very important in the Quranic context, the rhetoric of the relative pronoun and its relation with the Quranic context.

The study recommends for the continuous of rhetorical and interpretative research in the relative pronoun topic and its rhetorical meaning in the Noble Qur'an.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.win2pdf.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.